

فاطمة الزهراء و ترفى غمد

فاطمة الزهراء و ترفى غمد

المقدمه

فاطمة الزهراء :

مع المؤلف :

المراه :

سرد موجز :

ام ابوها :

كلمه توجيه :

هدايا

الى لجنه التحكيم

الى القارىء :

الى فاطمة :

تكوين الاطار

نبذه :

تاريخ -اجتماع

ما قبل الاسلام :

الشراره الاولى (خديجه):

الامين محمد- العائله- البعث- احداث

الجهه الجانيه- بيت على -

فى الجهه المعارضه- السقيفه

فدك

ختام البحث

خطوط

على طريق القوافل

اكبر القوافل

قافله محمد

خديجه

البيت الجديد

القافله الجديده

دثار

بعد الانذار

الرفيق

رهاقه

المراه

تكثيف المشاهد

دارسه

طريق المجد

بدايه الحوار

الوتر المجروح

اسامه

عتب

صدمه

بلاغه

دمعه

ثلاث نساء

خديجه

فاطمه

عائشه

خطاب فى باحه المسجد

البطوله

التسجيل

و تر فى غمد

فدك

ابنه النبى

زوجه على

ام الحسن و الحسين

الامامه

الارث

البقيع

بسمتان

اسماء بنت عميس

لملمه الخيوط

دوافع

منطلقات

شده الاوتار

حبل الحزام

المردن

الخاتمه

غفوه الصديقه

فاطمة الزهراء و ترفى عمده

المقدمه

بقلم: الحجة المجاهد السيد موسى الصدر
بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء :

ان الله ليغضب لغضب فاطمة، و يرضى لرضاها. فاطمة بضعة منى، من آذاها فقد آذاني، و من احبها فقد احبني. فاطمة قلبى و روحى التى بين جنبى. فاطمة سيده نساء العالمين .
هذه الشهادات و امثالها تواترت فى كتب الحديث و السيرة من رسول الله (ص) الذى لا ينطق عن الهوى، و لا يتاثر بنسب او سبب، و لا تاخذه فى الله لومه لائم .
موافق من نبى الاسلام الذى ذاب فى دعوته، و كان للناس فيه اسوه فاصبحت خفقان قلبه، و نظرات عينيه، و لمسات يده و خطوات سعيه و اشعاعات فكره، قوله، و فعله، و تقريره، وجوده كله، اصبح تعاليم الدين واحكام الله و مصابيح الهداية و سبل النجاه .
او سمة من خاتم الرسول على صدر فاطمة الزهراء تزداد تالفا كلما مر الزمن و كلما تطورت المجتمعات و كلما لا حظنا المبدأ الاساس فى الاسلام فى كلامه لها «يا فاطمة اعملى لنفسك فانى لا اغنى عنك من الله شيئا.؟»
فاطمة الزهراء هذه مثال المرآة التى يريدها الله، و قطعه من الاسلام المجسد فى محمد، و قدوه فى حياتها للمرآة المسلمة و للانسان المومن فى كل زمان، و مكان .
ان معرفه فاطمة فصل من كتاب الرساله الالهيه، و ان دراسه حياتها محاوله لفقه الاسلام، و ذخيره قيمه للانسان المعاصر .

مع المؤلف :

بهذا الاحساس كنت استمع الى الاستاذ الجليل و الاديب العبقري (سليمان كنانى) فى صومعته فى بلدته (بسكنتا) و على سفح جبل صنين و هو يتلو كتابه العزيز) فاطمة الزهراء و تر فى عمده)- كنت استمع اليه و ارى امامى لوحات رائعه تكشف بوضوح جمال ذوقه وروعه فيه .
سرت معه ساعات فى دنيا فاطمة الرحبه المشرقه، فاشعر بسمو الرفعه و انعم البصر و البصيره و اعتر بعقلى و قلبى امام هذا التراث المجيد الموجه .
منعه العمر كانت هذه الساعات امام الجمال الالهى فى جلوه فاطمة المنعكسه على فكر و قلب هذا الرجل المرآة الوديع .
و عدت الى مقدمه الكتاب فسمعته يتابع و يقرأ: «لهذا فسوف اكتب فى فاطمة الزهراء متنكرا قدر الامكان لحرف الجر هذا- يعنى حرف «عن» الاداه المستعمله فى كتب السيره -و ساكون متنكرا للسرد ايضا، فالريشه التى فى انملى ليس عليها ان تكون مختبرا يحلل نسبه الحديد و الكبريت فى ساق زهره، اكثر مما لها ان ترسم اللون فيها و تهتز من فوح العبير .»
قلت له:- و هل خصصت لعرضك الفاطمى البديع هذا بالذنب عرفوا فاطمة و اطلعوا على حياتها عن طريق كتب السيره و السرد. و منعت الذين يريدون ان يطلعوا على سيرتها...هلا رسمت الطريق للوصول الى عين الشمس و نبغ الحياه لكى يتمكن مجتمعنا الذى يقرأ الكتاب من تزييه المرآة الفاطميه و الرجل الفاطمى ...
قلت له: ان هذه اللوحات الرائعه سوف تعجب و تجذب ارواح الناس الحائره التى ضاقت بالابحاث و الاراء و التجارب عن المرآة، حتى اصبحت المرآة هى عقده العقد فى المجتمع القديم و الحديث، و هذا الاعجاب و الاجتذاب بدورهما يوديان الى البحث و التفتيش عن المواد التى كونت هذه اللوحات، عن الحديد و الكبريت، و عن المدخل الى هذه البيوت التى اذن الله ان ترفع .
ان الباحثين الجدد فى معالم الحضاره الحديثه يسمونها حضاره الجنس و هذا يكشف عن خطوره عقده الراى فى المرآة و عن الاخطاء الكبرى التى تعانيتها من جراء الخطا فى تجربه الحضاره حول المرآة .
ان آراء الكتاب و علماء النفس و الماديه المتحكمه فى كل شىء و فى المرآة بالذات- قد اظلمت الدروب و اغرقتها فى الالهواء فضاء الصواب و طغت الحيره و انهارت انسانيه المرآة تحت و طاه التجارب القديمه و الحديثه .
اننا نشعر اليوم اكثر من اى وقت مضى بالحاجه الى سرد موجز لحياه فاطمة الزهراء لكى نجعلها قائده، و نقنيس من فيض سيرتها. فى طريق الصلاح و الاصلاح .
قلت له هذا كله، فسمعته يقول بصوت واثق و بشعور من ادى الواجب: لقد تركت لك هذا الامر حتى تكتب فى مقدمه الكتاب و تودى هذه المهمه، فيكتمل العقد و يبلغ الكتاب النصاب .
شعرت بالاحراج الكبير امام الغايه الساميه و امام الوسييله ايضا، فقلت له كلام المقدس الامام السيد عبدالحسين شرف الدين فى تقريره له على كتاب «الامام على صوت العدالة الانسانيه» مخاطبا مولفه الاديب اللامع «اعرنى قلمك لكى اقرظ به كتابك .»
هذه كلمات من اضاءت كتبه و رسائله سماء الكتب و عالم الابحاث و الرسائل- فكيف بقلمى القاصر و ببضاعته المزجاء...؟
مع ذلك كله فلسوف استمد من فاطمة الزهراء فى هذه المحاوله المتواضعه و اودى الواجب قدر المستطاع سائلا المولى لى و للقرارىء الكريم توفيق الرويه الصائبه و الاقتباس .

المرآة :

الحقيقه، ان اكتشاف موقف الاسلام تجاه المرآة فى هذا الوقت لا يخلو من بعض الصعوبات، حيث ان هناك آثارا دينيه اسلاميه تبدو- فى بادىء الامر- انها متفاوتة و متخالفه، و زادت الصعوبه حينما اختلطت بعض العادات التى كانت و لا تزال عند بعض الشعوب الاسلاميه، اختلطت هذه العادات بالتعاليم الاسلاميه الاصيله فخيّل للباحث ان جميعها من الاسلام .
و اذا لا حظنا آراء المستشرقين، حتى اصحاب النوايا الحسنه منهم، و درسنا ما كتبه بعض الكتاب المسلمين ايضا- نجد ان هذه الصعوبات الدراسيه جعلت الموقف الحقيقى الاسلامى تجاه المرآة غامضا، حتى ان اكثرهم تبنا آراء بعيده عن الحقيقه و بعضهم اعتبر المرآة مظلومه فى الاسلام .
والحقيقه ان عند المسلمين نوعين من التراث الدينى، فهناك تعاليم دينيه ماثوره و عادات موروثه غير وارده فى الآثار الدينيه، و يجب الاهتمام بكل دقه بفصل احدهما عن الاخرى. ثم ان الآثار الدينيه الاسلاميه- ايضا نوعان :
قسم يتحدث عن واقع المرآة فى مرحله معينه فى التاريخ، و القسم الاخر ينحصر فى التعاليم الاساسيه الخالده .
و توضيحا لهذا الراى، الفت نظر الباحث الى مصطلح علماء المنطق و اصول الفقه حيث يفرقون فى كل خير (حسب مصطلحهم كل قضيه) بين القضيه الحقيقيه و القضيه الخارجيه، حيث ان الاولى تبحث عن الاحكام الثابته للموضوع اينما وجد و فى كل زمان و مكان، فى حين ان الثانيه تنظر الى الموضوع القائم فى زمان صدور الحكم و تبحث عن حالته فى ذلك الوقت دون سواه .
و لا جل اكتشاف حقيقه الموقف الاسلامى تجاه المرآة علينا ان نجعل من الايات القرآنيه اساسا للحث عن المرآة و اطارا سليما لمعرفه التعاليم الحقيقيه- لا الخارجيه- بالنسبه للمرآة، و عندئذ فقط تتمكن من فصل العادات عن الاحكام و من معرفه الاحكام الثابته و تمييزها عن الآراء المرحليه .

راى القرآن فى المراه :

القرآن الكريم، على خلاف جميع الآراء الفلسفيه والمذهبيه والعادات التى كانت قبل حال نزوله، و على خلاف كثير من الآراء والعادات المتأخره- يجل المراه و يعتبرها مثل ارجل فى الحقيقه و فى الذات [و من آياته: (ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً).] ثم يعلن انها تشارك مشاركه جوهريه فى تكوين الطفل، و ليست ممرا لآخبات الرجل و لا حقلنا لذره (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء.] و قد جعل الله النبى محمدا- بالذات- شاهد صدق على هذا الموقف حيث جعل نسله من فاطمه، ورد على من سماه-ابتر- بعد موت ابراهيم ابنه من ماريه القبطيه

(انا اعطيناك الكوثر، فصل لربك و انحر ان شائتك هو الابتر.] فى السنه الثانيه من الهجره .
و يؤكد القرآن فى كثير من الآيات هذه المساواه و يكرر عبارته «بعضهم، من بعضهن» ثم يسن قوانين لاحترام نفس المراه و كل حقوقها

[الظرف فى مصطلح الفقهاء اجزاء الجسد مقابل النفس اى الحياه. و الديه و القيود و القصاص ثابتة بالنسبه للرجل و المراه على تفصيل مذكور فى مظانه من الكتب الفقهيه.] و لا احترام عمل المراه ماديا
[من المحرمات الكبيره فرض عمل على الرجل و على المراه- حتى من زوجها- او منع الرجل او المراه من العمل و حجز حريتهما او حرمان العامل او العامله اجرتهما.] و معنويا

(انا لا اضع عمل عامل منكم من ذكر او انثى.] و اقتصاديا
([للرجال نصيب مما كسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن.] و سياسيا
(يا ايها النبى اذا جاءتك المومنات يبائعنك على الا يشركن بالله و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن اولادهن و لا ياتين بهتان يفتريته بين ايديهن و ارجلهن و لا يعصينك فى معروف فبايعهن و استغفر لهن الله.] و يؤكد احترامه لقرابتهن من الميراث
([للرجال نصيب مما ترك الوالدن و الاقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدن و الاقربون.] و فى جميع شؤون الحياه .
و لا نجد فى جميع الآيات القرآنيه ما يمنع المراه من التصرف فى اموالها حتى بعد الزواج
[لا تراك بعض القوانين فى- العالم المعاصر و فى اليلاد المتحضره تحجر على المراه بعد الزواج فى ما لها.] او يسمح بفرض الزواج عليها دون رضاها

[و حق الوالد فى زواجها الاول حق استشارى و ليس له فرض الزواج عليها، ثم ان الوالد اذا عضل و منع البنت من الزواج مع وجود المصلحه و الكفاءه يسقط حقه] .

و الآيات التى تضيف المراه على الرجل لبيان الاحكام او التقدير او المواظ او العبر كثيره جدا دون ان تقلل من مقامها او تحتقرها ([من عمل صالحا منكم من ذكر او انثى و هو مومن فلنحيينه حياه طيبه و لنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون.]- ان) المسلمين و المسلمات و المومنين و المومنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات اعد الله لهم مغفره و اجرا عظيما .] (او تعتبرها اقل شانا من الرجل .

و من خصوص الحياه الزوجيه و لاجل صيانه الزوجه و عدم وصول الحياه المشتركه بين الزوجين الى مازق، و حتى يمكن البت بالامور العابره الى شؤونهما المشتركه، جعل للرجل على وزجه و درجه و ذلك بعد ان اكد تماثل الحقوق و الواجبات فى الايه الكريمه: «و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجه» و هذه الدرجه هى التى عبر القرآن الكريم عنها فى مكان آخر «الرجال قومون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما انفقوا»

والمتمعن فى دراسه القرآن الكريم يجد ان الفروق التى يثبتها بين الرجال و المراه تتركس المساواه الذاتيه و تولد الاهتمام العادل بامرهما على حد سواء، فالتفاوت فى الاحكام و فى الواجبات و الحقوق انما يرجع الى التفاوت فى الكفاءات بينهما والى اختصاص كل منهما- فى اكثر الاحيان- بنوع خاص من الاستعداد يختلف عن الاخر .
فالمراه بمقتضى خلقها الجسدى و الروحى، تصلح للامومه و لتربيه الطفل، و هذه المهمه هى التى اعتبرت اهم بناء فى الاسلام بموجب الحديث النبوى .
[ما بنى فى الاسلام بناء احب عند الله من الزواج] .

ان هذه المهمه لا تقل تأثيرا عن اى مهمه حياتيه اخرى، حيث انها تصنع الفرد، و هو قوام المجتمعات القاهره، تتناسب مع المراه، فالاسلام ينص بتحمل هذه الرساله دون ان يفرض عليها
[فليس الزواج واجبا عليها و لا اداء هذه المهام مفروضه عليها حسب التفاصيل المذكوره فى كتب الفقه.] ثم يحاول تهيئه الجو المناسب لها لكى تتفرغ لاداء هذه المسؤوليه يفرض على الرجل ان ينفق عليها تسهيلا لمهمتها .
ثم يفرض عليها الرجل بمضاعفه حصته فى الميراث لخصتها حتى تتحقق العداله و حتى لا يكون المال « دوله بين الاغنياء منكم » على حد تعبير القرآن الكريم .

و يبنى الاسلام- على اساس هذا الاختصاص و هذه الممارسه- سائر احكامه، فيحكم بقبول شهاده المراه فى اطار عملها و اختصاصها .

اما موضوع الغطاء فى الاسلام فليس المقصود منه تحقير المراه او حبسها او التفخيم و التمجيد الزائد لها، كما كان متعارفا عند بعض الشعوب، بل انه سلاح للمراه و منه لطغيان الانوثه على المراه لئلا يتغلب هذا الجانب على جميع كفاءاتها .
ان هذا القصد واضح فى الآيات القرآنيه التى تمنع الخضوع فى القول او الضرب بالارجل فى المشى او التبرج او ابداء الزينه [الآيات القرآنيه فيهذا الشأن كثيره نذكر بعضا منها: (فلا يخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) و (لا يضرين بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) و (و لا يتبرجن تبرج الجاهليه الاولى) و (و لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها .] .
والحقيقه ان ابداء مفاتن المراه يودى الى طغيان جانب الانوثه على وجود المراه فيحولها الى لوحه فنيه فقط، و هذا احتقار لها و تنكر لكفاءاتها و تقليل من فرصتها الغاليه من حيث يودى الى التخفيف من مركزها و دورها السامى فى خدمه الامومه .
هذه هى المعالم الرئيسيه لموقف الاسلام تجاه المراه و على هذا الاساس يمكننا معرفه العادات و تمييزها عن الاحكام و تتمكن ايضا من اكتشاف الروايات التى تستعرض وضع المراه فى مرحله تاريخيه معينه .

و قد بذل رسول الله (ص) جهد متناهيا فى رفع مستوى المراه التى تعيش فى عصره و التى كانت تحمل تبعات الاضطهاد الماضى الطويل و عقده، و فى تحسين نظره الناس اليها، فقد اعتبر ان «خير الاولاد البنات» و ان «احسن الناس احسنهم لزوجته» و ان «المراه محبيه عنده مع الصلاه» و ان «النساء امانه فى امته .»
و اننى اعتقد ان ما نقل عن الامام على- عليه السلام- حول المراه مما جعل بعض الباحثين من المستشرقين و غيرهم يعتبرونه عدو المراه، نظير قوله «النساء عى و عوره فاستروا عينهن بالسكوت و عورتهن بالبيوت» و امثال ذلك- ان هذه العبارات، على افتراض صدورها عن الامام، انما هى من قبيل القضايا الخارجيه فى نظرات خاصه معينه تعبر عن وضع المراه فى مرحله تاريخيه معينه .

و للامام (ع) نظرات و حكم اخرى تنطبق تماما على ما استنتجناه من القرآن الكريم . و هو فى بعض الاحيان يحاول ان يعطى تفسيرا راعيا مما كان شائعا بين الناس من الامثال حول المراه، فحينما يسمع المثل الشائع: «ان النساء ناقصات العقول، ناقصات الحظوظ، ناقصات الايمان» يفسرها بمثل ما شاهدناه من التعاليم القرآنيه من التفاوت فى الميزات و الشهاده و بالتفاوت فى اداء بعض الفرائض فى حالات خاصه . و هذه الاسلوب هو موقف تربوى رائع نجده و نجد مثله فى حياه النبى و سائر الائمة و فى حياه الزهراء- عليهم السلام -

سرد موجز :

ولدت فاطمة بعد مبعث الرسول الاكرم بخمس سنوات، اى قبل الهجرة بثمان سنوات، وهى آخر اولاد الرسول من خديجه ولدت فى مكة، و فى بيت الوحى و الجهاد و فى اجواء الصبر و الصمود و تحمل المشاق و ترعرت فى غمار العواطف الصادقة و الحب الطاهر المتبادل بين رسول الرحمة و بين خديجه التى ما نسى النبى عواطفها و اخلاصها طوال حياته . هاجرت بعد رسول الله من مكة الى المدينة مع الاخريات من اهل البيت و برعايه على بن ابى طالب (ع) و التحقوا جميعا بموكب الهجرة فى منزل «قبا» بالقرب من المدينة .

و تزوجت من على بن ابى طالب، و هو فى الثالثة و العشرين من عمره، من السنة الثانية من الهجرة، يعنى حينما بلغت العاشرة، [هذا هو المشهور فى روايات اهل البيت و هو اقرب الى السيره الشيعه من استحباب الاسراع فى تزويج البنت، و هكذا فان عمر فاطمة وقت زواجها كان عشر سنوات بموجب هذا النقل اما النقل الثانى عن ابن عباس، و هو ان ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، فيكون عمرها- حال الزواج- عشرين شبه- اما استغراب الحمل و الولادة فى السنين المتاخره من حياه خديجه فيثبته امكان حيض المراه القرشيه و النبطيه الى ستين سنه و هذا اصل مشهور بين الفقهاء.] و قد اكد النبى لاصحابه ان تفضيل على من بين الخاطبين الكثر لفاطمة، كان بنصيحه من الغيب و لعدم رضاها بغير على، لقد رضيت به دون سواه بالرغم من محاولات كثيره يذلها نساء المدينة حيث نصحت فاطمة بعدم الاقدام على الزواج من على لفقره و لا نصرفه للجهاد المستمر و لصلابته فى ذات الله .

عاشت مع على ثمان سنوات حياه مثاليه كانت عنوان الحياه الزوجيه، و انجبت له الحسن و الحسين و زينب و ام كلثوم و محسن الذى اجهضته بعد وفاه ابيها فى عمره الاحداث المولمه التى وقعت آنذاك .

و توفيت بعد ابيها باشهر قليله و دفنت فى مكان مجهول- حسب وصيتها- كما و ان دفنها و تشييعها حصلا سرا و فى الليل تنفيذاً لرغبتها .

و بعض الآثار التاريخيه و الاحداث الماثوره تؤكد: ان قبرها فى احد الاماكن الثلاثه: فى البقيع، او فى بيتها الملتصق بقبر النبى، او فى الروضه الشريفه التى هى بين محراب الرسول و قبره و التى تتميز الان باعمده خاصه .

اما عمرها فيبلغ ثمان عشره سنه و اشهر، و هو عمر قصير ولكنه مثال كامل شامل لحياه المراه التى يريدنا الله و يسعى لتحقيقها دين الله .

ان التعاليم الدينيه تحتاج الى نماذج من البشر يجسدونها و يحققون تنفيذها تحقيقاً كاملاً لكى يخرجوها عن الفرضيه المثاليه «ايدىاليه» و حتى لا يكون للناس على الله حجه .

و حينما اراد الرسول ان يباهل «و المياهله ابتهاج الى الله لكشف الحقيقه بعدم اقتناع الخصم بالحجه، و قد كانت الوسيله الناجحه الاخيريه فى دعوه الانبياء و فى نصره الله للدين الحق»، امرنا بذلك بموجب الايه الكريمه: (قل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فتجعل لعنه الله على الكاذبين) فاصبح الرسول الكريم فى مقام عرض الابناء و النساء و الانفس الذين

يمثلون رجال الاسلام و نساءه و ابناءه، عند ذلك اختار علياً و فاطمة و الحسنين معلقاً بذلك ايمانه بالحق و لتمثيل هولاء لدينه تمثيلاً كاملاً .

فلندرس بصوره موجزه هذه المراه- فاطمة الزهراء- التى هى الممثله الصحيحه للمراه المسلمه بعد هذا السرد المقتضب لحياتها .

ام ابيها :

ان فاطمة الفتاه تحاول ان تشارك فى جهاد ابيها فتسعى مخلصه لسد الفراغ العاطفى الذى كان يعيشه الرسول بعد ان فقد ابويه فى اول حياته و هذا الفراغ كان يزعج النبى و ينعكس على قلبه الرهيف المشتاق الى الحب- لقد كان يحاجه الى عطف الام و رعايتها فى حياته و فى عمله الشاق المضمنى و فى مواجهته بينته القاسيه بالنسيه اليه و قد وجد كل هذا العطف فى فاطمة . ان التاريخ لا يحدثنا الا تنقاً من هذه المواقف الاموميه التى كانت تصدر عن فاطمة بالنسيه للرسول ولكنه يؤكد نجاح فاطمة فى هذه المحاوله التى اعادت الى محمد الاكتفاء العاطفى الذى ساعده- دون شك- فى تحمل الاعباء الرساليه الكبرى . ان التاريخ يؤكد هذا حينما ينقل تكراراً عن لسان النبى: «فاطمة ام ابيها» و حينما ترى انه كان يعاملها معاملة الام فيقبل يدها و يخصها بالزياره عند كل عوده منه الى المدينة و يودعها منطلقاً من عندها الى كل اسفاره و رحلاته، و كانه يتزود من هذا النبع الصافى عاطفه لسفره .

و من ناحيه اخرى نجد ان احساس النبى بالاويه كان يتجسد فى صلواته مع فاطمة، و حينما امر الناس بان يخاطبوا محمداً برسول الله و نفذت فاطمة هذا الامر. منعها رسول الله و طلب منها ان تدعوه «يا ايه .»

و نلاحظ من سيره الرسول الاكرم كثره دخوله عليها فى حالات تعب و آلامه او حينما يرجع جريحاً من الحروب او حال جوعه او فقره فتقابله فاطمة الام و ترعاه و تحتضنه و تضمده جروحه و تخفف من آلامه .

كلمه توجيه :

هذه هى المراه المسلمه الكريمه ابنه اعظم نبى، و زوجة امام و بطل، و ام ائمه يزغتين فى تاريخ الامامه- التى يقدم فيها الاستاذ الكريم- سليمان كنانى- كتابه الادبى الملون الذى هو فيض اشراقه لاطهر وجه عرفه تاريخ الاسلام . فلنتابع- مع هذه الريشه المغموسه بالطيب و باللون- قراءه الكتاب على مهل، مكتشفين، مع كل صفحه من صفحاته لوحه فنيه رائعه نستشف ضمن خطوطها و مع كل من اطلالها وجه فاطمة الزهراء مشرقاً وضاء و عفيفاً شيقاً . و بعد ان ننهى القراءه، فلنغمض اعيننا متاملين... سوف يتجسد امام خاطرنا ذلك الوجه الناعم- وجه ابنه النبى- مغموراً باللون و متموراً بالطيب .

صور موسى الصدر

فاطمة الزهراء و ترفى غمد

تأليف سليمان كنانى

هدايا

الى لجنة التحكيم

بواسطة سماحه السيد حسين بحر العلوم الجزيل الاحترام

الى النجف الاشرف- منه و اليه- اقدم كتابى :

«فاطمة الزهراء»

«و تر فى غمد»

ان امرام كفاطمة: رهيبة الحس- ذكبه المعدن- كبيره القلب- نيره اللب- حرى ان يكتب فيها، ابرازاً لمثال، و تجسيداً لقدوه، ان المجتمعات العربيه لفى حاجه لبناء الاسره الفاضله، تدعيماً لكيان اجتماعى ناضج يكون امتداداً صحيحاً لتاريخنا الماضى المجيد .

بين يديكم هذا القصد منى- فان يكون التوفيق، فلكم منى الشكر على اتاحه الفرصه، و لفاطمة الزهراء فضل جلوه خاطر .
المولف :
سليمان كنانى
بسكنتا
الى كل امراه- تنفتش :
عن مروود ...
عن فاروره طيب ...
عن ريشه خضاب ...
اقدم:- فاطمة الزهراء .

الى القارىء :

لا- لست اكتب سيره- حسبى من السيره مضم الشواهد و الاسانيد- حسبى منها حلقات لا تجد لحمتها الا فى «عن». حرف له ابرز شهره بين حروف الجر- و حسبى منها سرد كانه ناجذ جرد فى جدار .
و لا اذكر انى قرأت سيره الا انزلت عينى عن كل «عن» فيها لتستقر على ما يبرز بعد آخر كل «عن»، ولا تتبعت اى سرد من سرودها الا الذى تتقعر حروفه براى او تهتز باثير .
لهذا سوف اكتب فى فاطمة الزهراء- متنكرا- قدر الامكان- لحرف الجر هذا- و ساكون متنكرا للسرد ايضا، فالريشه التى فى انملى، ليس عليها ان تكون مختبرا يحلل نسيه الحديد و الكبريت فى ساق زهره، اكثر مما لها ان ترسم اللون فيها و تهتز من فوح العبير .
ان فاطمة الزهراء هى اجل من ان تشير اليها الاسانيد، و اكرم من ان تدل عليها السرود- يكفيها اطارا كونها ابنه محمد، و زوجه على، و ام الحسن و الحسين، و سيده نساء العالمين .

الى فاطمة :

ايه فاطمة ...
يا تغرا تحلى بالعفاف فطاب رضاه .
و يا عنقا تجمل بالمكرمات فذكا اهابه .
لقد عقب خط وصلك بنت عمران، يا ابنه المصطفى .
فتلك مريم- ما فرشت الارض الا من تنف الزنايق، و انت النفحه الزهراء، ما نفتت الطيب الا من مناهل الكوثر .
و الخط خط الطهر و العفاف- ما زرت الارض الا خفف ارهاقها، و لا عاتق الاجيال الا لون آفاقها .
و الارض- لولا هذا الاثير يغمرها- تاجن .
و الزمن- لولا هذا العبير يرشفه- ياسن .
يا بتول- يا ام ابيك ...
لقد كانت النبوه طفلك البكر :
داعيتيه بيد، قيلتية بغم، عانقتيه بعين، رافقتيه بقلب، حضنتيه بروح، ضممتيه بشوق... فاشتعلت بين حناياك اشواق السماء، و التهبت فى محجريك اثقال المعانى .
لقد ذاب التراب فى المصهر، يا ابنه الجنه ...
هكذا- يا ابنه ابيك- اصبحت الوصيه... يا طيب الامومه، يا منتهى العفه يا طهاره المردن، يا نحيله .
اى فتى هو فتاك- ما اندغمت فى رحابه الا كما ينغم النور فى كاس شفيف ...
يا عناق الحب، يا وصله العمر، يا امتزاج المسك بالعنبر، يا اعتصار الشوق من قلب العفر، يا ام ريحانتين جسدا اشواق النبوه .
يا لبنه البقيع ...
يا كبرياء النفس فى عنفوان الجفر ...
ايه دمعه ليس لها ان تحرق مقلتيك، و انت فوق ضريح- ثوى فيه مخمل الكف، و حنوه القلب، و نوه العين، و هله الجبين، و دفته الميسم... و هاله كالدومه موصوله العبق بغار حراء ...
و مسحه كالنور فيها كل العزاء ...
و ذاب حبر الوصيه يا انوق ...
و يقيت على الخط الكريم، يا عديله مريم،
يا قيثاره النبى،
يا ثوره اللحد،
و يا وترا فى عمد .

تكوين الاطار

عناصر البحث :

نبذه
تاريخ- اجتماع- ما قبل الاسلام
الشاراه الاولى- خديجه
-الامين محمد- القافله- بعث و احداث
الجهه الجانبيه- بيت على
الجهه المعارضه- السقيفه
فذك
ختام البحث

نبذه :

كيف يفيد الحديث عن فاطمة الزهراء، ان لم يلجا الى نبذه تاريخيه اجتماعيه، لا تطال فقط الفسحه التى امتدت بين ساعه ابصرت فيها النور و ساعه انطقات فيها، من عينيها، لمعه الحياه، بل و تمتد بشمولها الى تاريخ الجزيره قبل مولودها و تتجاوز اليوم الذى غيبتها فى ضريح، حتى الساعه الحاضره :
ليس الشموك فى البحث- على هذا الطراز- شرطا من شروط كتابه كل سيره، فهناك من تكتب فيه السيره محصوره فى فسحه عمره، و قد تحصر فى فاصل معين من هذه الفسحه، كان فيها بروز صاحب السيره بشكل فذ، حقق لفت النظر اليه وجداره الاهتمام به. و هنالك من لا تكتب السيره فيه الا فى اطار مشدود بماضيه و حاضره و ما ياتى بعده من زمن. تلك هى عبقريه الافراد يربطون حياتهم بحبال التاريخ ليغيروا وجه التاريخ .

و فاطمة الزهراء- ان لم تكن من اولئك الافراد- فهي على الاقل- ابنة نبي-هز- ليس تاريخ الجزيرة و حسب- بل جذور الفكر فى الانسان و ففز به فوق الاجيال، و هى زوجة رجل- هو الاخر قطب من اقطاب الفكر، و خط من خطوط الاماله، و ركن من اركان الحق، و امتداد لاعظم عبقرى جدل النور فى قرآن .
و ليس ذلك ليكفى، فهي انجذاب بين قطبين، عبت من الاول كما عبت من الثانى، فاذا نهجها فى الحياه امتداد لنهج مرسوم .
و كان لها- من كرم الخالق- جمال، هو انعكاس لكل ما فيها من عقل و طيبه و صفاء، و لكل ما فيها من جاذبيه و ايجاء، فاستأثرت بحب اعظم اب وحب اعظم قطب، فانحصرت فيها ذريه ابوها لتكون ذخيره يتوارثها كل جيل عن جيل .
ذلك كان جوها، عاشت فيه، و شعت عليه، و امتدت به، و عبرت عنه فكرا و انتاجا. لقد غدت خطا فى الرساله التى انطلقت ثوره و اصيحت هى من لونها،
و ستبترك بها الاجيال، حتى اذا قامت- فيما بعد- دوله فى مصر- اخذت من اسمها ما تيمنت به. فالدوله الفاطميه، و الجامع الازهر، يمن بها و فيض تبرك .
و لن ينسى الاسلام- خاصه فى شيعته- انها كانت اعز من احب النبى، و انها ام لاشرف نسب .
لذلك دخلت التاريخ، و لن تكون لها سيره بغير استدراج صفحات التاريخ .

تاريخ- اجتماع

ما قبل الاسلام :

ان البيئه التى ولدت فيها فاطمة، لم تكون قوتها غير مظهر من مظاهر العمران و الازدهار الاقتصادى، و هذا ما كان يفتقر اليه مجتمع الجزيرة. فالارض التى فتحت على ابعاد شاسعه كان يخنفها الشج، و بضئها الفحط، فكان مجتمعا مشرورا - هنا و هناك -
قائل قائل، لا يضبطها نظام اقتصادى مدروس، و لا توجيه فكرى موحد، فاعتمدت على الغزو و الاختباء فى طيات الفيافى اكثر مما كان عليها ان تعتمد التنظيم فى توجيه اقتصادها. مستوحيه العقل و العلم. و كان لها فى الجوار ما يوفر لها الاقتباس، فهناك- ما بين النهرين، و على طول الخط المودى الى الشام و الاردن و سواحل البحر الابيض- كانت تعتر مدنات مجتمعات قويه و ناهضه فى اعتمادها على نفسها و استنابات الخير من اراضيها، و تنظيم تباراتها الفكرية و معاولها الاقتصاديه .
و لقد انفتح- منذ القديم- هذا الجو من الجوار امام هجرات قويه و متعدده من الجزيرة، لم تجن الجزيرة منه الا قليلا، و استمرت تصدرها هجراتها، و لبث من بقى فيها على الاستمرار فى الانماط المالوفه، يمارس بعض الزراعات الخفيفه، و يجمع بعض العطور و الاطياب فى تجارته المعتاده التى كان يجهز لها بعض القوافل الموسمييه .
و كانت الهجرات تنهب من رجال الجزيرة دون نساينهم، و كان الغزو- ايضا- يقلل من هذا العدد، فظهر اختلال فى هذا المجتمع بالعدد النسبى بين الرجل و المراه، بحيث اختل تكوين الخليه الاجتماعيه التى لا تجد قوامها الا فى الجنسين المترافقين المتلاحمين، فكان الود خلا من الحلول التى ما عدلت خلاا حتى عطلت قيمه فكرية اجتماعيه، كان فى فقدانها ذباك الانحطاط .
و لقد شمل الانحطاط جميع مرافق الحياه، زراعيه، اقتصاديه، فكرية، لم تنشا ايه زراعه متطورة، و لم يتبدل سير القوافل، و لم يتغير نمط التجاره و بقى النزوح عينه النزوح، و الغزو ذاته الغزو، و بقيت الكعبه نفسها الكعبه، تتربع فى زواياها حجارات منحوتة بغير هندسه، و بقى الخلاف فى تحديدها اياها الخلاف- اهى نصب ام انها اوثان؟ - و بقيت رابعه الاثافى وحدها رابعه الاثافى امام كل خيمه مهجوره او وتد منسى .
كل ذلك قد كان و ما لبث مستمرا حتى جاءت على الخط قافله الامين محمد، (ص) فتوقف التاريخ بالقافله ليجعلها حدا فاصلا بين عصرين: عصر الجاهليه، و عصر صدر الاسلام .

الشراره الاولى (خديجه):

ان القافله التى اعترضت طريق القوافل هى قافله خديجه، ما سارت الا لتتوقف، و ما توقفت الا لتنتقل، لقد تغير فيها مركز القيادة .
و خديجه بنت خويلد، هى الشراره الاولى فى الثوره الاجتماعيه التى قلبت الاوضاع و نقضت القديم .
لقد تلقت بيديها- بزمامين- بيمناها زمام، و ببسراها زمام، بهذين الزمامين توقفت قافلته على المفرق الفاصل بين عصرين .
لقد ذاق مراره الود، ثم تذوقت نشوه الانبعاث. انها خديجه بنت خويلد، من اشرف قريش، و من اصبح نساينهم وجها و انهضهم ذكاء .
كانت صغيره لما سيقت الى زواج باكر من عتيق بن عابد و سريعا ما بتر الموت هذا الزواج، فسيقت الى زواج آخر تقدم به منها شريف يدعى «ابا هاله» و رزقت منه ولدا اسمته «هندا»، ثم عاد الموت، ففصم عروه الزواج الثانى، فتوقفت خديجه عن تلبيه العروض فى تكرار زواجها، و كان رفضها بمنابيه ضربه ادتها عن نفسها، تعويضا عن زواجين سابقين، لم يكن لها فيهما كبيرشان .
و مرت الايام، و فى بيمناها زمام جاهلى، تقوده على طريق مكه- الشام، بقافله جاهليه المولد، جاهليه الرجل، جاهليه العير، جنت منها ارباحا طائله لم تكن غير جاهليه .
و بدا لها فى الطريق جبين و صاح، فيه من العزم اكثر مما فيه من الفتوه، و فيه من المجد ابلغ مما فيه من السكون، فرات تلاميحه و استبشرت بفك رموزه، و اقدمت- دون ان يثنيها قنوط الاربعين، و استسلمت- دون ان يوتر عليها اى اعتبار .
و كان لها ما ارادت، فتزوجت بملء حريتها، مسكوره من حولها طوق التقاليد .
و كان الزوج الجديد، الفتى الامين محمد (ص) بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمى .فتى فى الخامسة و العشرين، لم تدخل- حتى الساعه- امراه فى حياته، و سيم الوجه، هادىء الطبع، برىء القسما، عميق السكون، و كان من بيت كريم له فى مجتمعه مكانه الزعامه .
و كان الزواج مثار همس و لمز: امراه تخطب، و رجل يتلقى العرض... ما هكذا توزن كرامات البيوت و امجاد بنى هاشم... اننى ليست لها الحريه بنسبه ما لها الود... بريق الذهب يعمى البصيره... الى آخر ما توصلت اليه معاريف تلك البيئه المشدوده بحال التقاليد .

الامين محمد- العائله- البعث- احداث

و لقد كان، بين خديجه و محمد- قبل الزواج- ما يشبه الاختيار و الامتحان، فهى -قبل ان تقدم- جعلته فى قافلته، ثم انتظرت الوقت يبلور حسنها و يجيب عن حدسها .
و ما كان الوقت الا ليفرض الحقيقه، فالامين محمد، الذى مشى تلك الفيافى ذهابا و ايابا، عدده مرات، هو الذى خبر القبائل مشروره على طول و عرض هذه الرقع الغارقه تحت الخيام و الاطناب، تزحف مع كل غبار، و تتساق وراء كل سراب- شاهد حجاره الاثافى و نصب الاصنام :
لقد مر على «يعيوب» جديله طى، و توقف طويلا امام «ذى الشرى» صنم «دوس»- و لم يتردد عن زياره «ذى الخلطه»- كعبه اليمامه، ليكون فيما بعد للنبي حديث فيه : «لا تقوم الساعه حتى تضطرب البات نساء دوس حول ذى الخلطه»، اشاره الى رده العرب الى جاهليتهم بعد اسلامهم .
و سيشهد حريق «ذى الكفين» صنم بنى لهب يحرقه الطفيل بن عمرو و هو يقول :
يا ذا الكفين لست من عبادكا انى حشوت النار فى فوادكا انى حشوت النار فى فوادكا

ميلادنا اكثر من ميلادكا انى حشوت النار فى فوادكا

و سيناچى «ودا» مليا، و هو اوقف امام تمثاله المتقلد السيف و المتنكب القوس و لسوف يهيب بخالد بن الوليد ان يكسره بعد غزوه تبوك .
اجل لقد مر الامين محمد على هذه القبائل و شاهد بعينه كل ما يغررون فيه من فقر و سخافات، و لقد غاص معهم بكل تاملاته اغوص المدرك المتالم لنفس انسان تنحط عن درجه العقل المتبصر المتروك .
و لقد زار الشام و كل الدائرته المطله على المتوسط، و خبر فيها الحياه الاجتماعيه :
ماديه، اقتصاديه و فكريه روحيه و تامل و استوعب و قارن .
لقد خبر بنفسه كل مجالات الجزيره، من اول تاريخ هجراتها و تدفقاتها الى الساعه، و لقد ادرك ان هذه الارض التى قدمه عليها الان- قد اصيحت امتداد مجهود شعب قد اختلط حابله بنايلها، فامتزج بقرابه تاريخيه و بتوحيد مصير .
و رجع بالقافله على تصاميم و مناهج، سستيلور قريبا- فى غار حراء- رجع ليعرض على خديجه ربح القافله، بعد ان كان امينا على ما حمل .
ولكن خديجه: التى كانت ترمى بتجارتها، كما ترمى الحصاه فى بئر- سبر الغور-ما همها ربح جزيل اكثر ما همها الاكتشاف الخطير:
فلقد تكشف لها انها امام رجل لا تتم قسماته عن نبيل اكثر مما تطل على شفق و ان قافلتها التى جعلته فيها ستذوب حتما فيها .
و فعلا- لم يتم الزواج، الا لتصبح خديجه و ما تملك، ليس بين يدى الامين محمد، بل ليصبح الاثنان و ما يملكان، وفقا على تاديه رساله ستعريهما من كل اثقال التراب، ليعيشا- رغما عن ثروه ثقيله- فى فقر و حرمان، تحقيقا لفكره و تدعيما لايمان .
و انطوت العائله على نفسها تنجب: تنجب الاولاد، تقديسا لمشيتيه الحياه، و تنجب الفكر، تاليها للسمو، هنا فى الزوايا، درجت فاطمه بعد ام كلثوم، و رقيه بعد زينب- و هناك- فى غار حراء- كانت تفتح الكوه يطل منها وجه جبريل، و هنالك قبائل لا تزال تزحف نحو ديدنها، تاكل الغبار و تشرب السراب، و تنام فى الاغلال ...
ما توقفت قافله خديجه- ولكنها تتريث. انها تستعد لانشاء قافله كبيره- و هى الان تجلو صوت حادياها، ليغمر الجزيره و آفاق الجزيره.
لقد تالفت النواه. يكفى القافله الجديده فتى يتيها- ليس عمره سبعا، بل سبعة دهور .
لقد ربي على فى هذا الكنف. اخذه محمد- يا لسخاء الاقدار- ليخفف العبء عن كاهل عمه ابى طالب المعبول .
نطحته العبقريه بقرن فذر بها قرنه، و امتص كل ابن عمه بكل صمت و كل هدوء، فاذا هو ظل لا يفارق و طيف لا يمارى- ليصبح- فيما بعد- سيف الرساله ودويها. لم ينحصر دوره فى الفسحه التى عاش فيها، لان النبى وزجه من اعز بناته- فاطمه الزهراء- ليكون له من ذريتها صلب ميراثه و امتداد قيمومه على رساله وجهها الى اهل الارض .
و كان للبعث قذفه ارتجاع فى جو مكه، اول ما سمع صدها فى الكعبه- و ادار تلك الايام- فهبت ضجه قلقه تستفسر الخبر:- بيت يفتش عن زعامته. جنون يتلقط بالغيب ليعكسه حقيقه ...
و كان خديجه- فى صمتها- تصغى، انها بدايه الساعه فى تحقيق المبهم المرتقب، انها الوصول الى الكنز الذى ذابت- فى التفتيش عنه- ثروه .
و خفق قلب فاطمه- و هى ترون بوسع حديقها الى الساحة التى يلعب فيها، ابوها الكبير و رقيقها البطل- لعبه الخلود... و انطوت على نفسها توسع ضلوعها امام قلبها الخافق .
و كانت رده الفعل، ولدها ذعر السدانه، و تجاوبت بها زعامات القبائل: لقد هب ابوسفبان يضغط على «ابن ربيعه» ليرد «زينب» الى البيت الذى خرجت منه، و هكذا فعلت» ام جميل» اذ سلخت «رقيه» عن «عتبه» و «ام كلثوم» عن «عتبه» لتعودا من زواجها الى ابيهما- ارهاقا له، و عرقله لمسيره. لقد رمت «ام لهب» كل حقدتها فى وجهه: بذاءه من لسانها، و شوكا على دربه .
هذا هو الطراز الذى قبيلت به الرساله- ساعه بنتها. و يمثل هذه الخشونه فوجى ء الوجه الوليد على كف القابله ...
و لكنها رساله، تحمل الحق، تحمل النور، تحمل الصواب، تحمل الشوق، تحمل الايمان .
لهذا تحملت التشريد فى هجرتين تمكنت فيهما من لم شعئها، و كان لها- على يد الصحابه و الانصار- شده ارز و لفه ساعد و شمله ميعاد .
و عادت تزبح اشواك «حماهه الحطب» من دريها، و كان من المم اعطالها الفتى على و سيفه ذوالفقار .
و تخطت الدرب، عبر «بدر» عبر «احد»، عبر «خبير»، عبر «مكه و هواذن» و عبر الكعبه تتحطم فيها ضلوع «هبل» .
و اشاريت نحو الجوار، قافله، تحمل الاجيال على كفها، ماذن و فتوحات .
لقد رسمت للجزيره خطوط عريضه تعلمها: كيف تاكل، و كيف تشرب، و كيف تنام. تعلمها كيف تصنع من الغبار زهره، و كيف تستقطر من السراب قطرى ندى، تعلمها كيف تضع فى محجر» هبل» عيننا لها بوبو، و ريشه هذب، تعلمها كيف تسير الى الشام و نحو الكوفه على حدو الشوق و الحنين، يحمله حب الانسان للانسان، و تحمله قيمه الفكر مبسوطه على سحج من الوجدان .
والتف رجال الصحابه و رجال الانصار حول النبى العظيم لينفض عن اكتافهم غبار الماضى، و يثبت اقدامهم فوق المفارق. و لقد شددهم بالعقل، و استوثقهم بالمعرفه، و ربطهم بالارض بالرباط الذى يلبق بالاحرار، و افهمهم كيف يعيشون، و كيف يتزوجون، و كيف ينسلون، و كيف يحيون، و كيف يموتون، و كيف يحشرون .
و لقد عاش معهم مجسدا فى نفسه القدوه و المثال- قولا و عملا- فكارا و احيا.. قال لهم:- كلوا، واكل- اشربوا، و شرب- عفوا، و عفا- تزوجوا، و تزوج- احبوا، و احب- اعدلوا: و عدل- لا تغتروا بالدنيا، و لم يغتر- انفقوا فى سبيل الله- و انفق .
لهذا لم يترك الدنيا الا بعد ان خلع عليها رداءه، و لم ينزل فى قبره الا بعد ان سحب منه كساءه .
و مات النبى و هو تلك الكناهه .

الجهه الجانيه- بيت على -

على الجبهه الجانيه من هذا العرض، نتتبع نشوء بيت آخر، و هو فرع من البيت النبوى، و هو انطباق عليه لانه اثبات منه- انه بيت على .

رجل كان- ربيب النبى- من صلبه- ابن عمه- من معدنه: عقلا و انجذابا، ميلا و استجابه، عملا و تطبيقا .
امن المصادفات؟ ام انه تدبير يجهل العقل كنهه؟ كان وجود هذين القطبين فى وقت واحد، ليكون للجزيره العربيه انبلاج شفق و تحقيق تاريخ؟

و لقد تساندا متكاملين فى كل انجاز، و لقد ادرك النبى ذلك تمام الادراك، فالقى على ابن عمه ائقال القضيه، و ناطه بكل جليل .
اما فاطمه الزهراء، فهى التى خص بها على، كانها التديل على عمق محبه النبى له و ايتاره- اياه لان محبه الاب لابنته فاطمه كانت فريده من نوعها- كانت فوق درجه الوله .

و لقد تصافت العوامل لتزيد هذا الوله تمثينا و تعميقا، فالنبى الحريص على رسالته لم يجد لها- من صلبه- من يقيم عليها بالرعايه من بعده، و يمتد بها من مصير الى مصير. اما على القريب القريب و فاطمه النجييه، فهما اللذان يكون منهما حبل الرباط .

و اشدت الوفاق: ان الحسن و الحسين ارهاقا شعور النبى حتى اصبح ينشم فيهما عبق الجنه .
تلك هى العتره الطاهره، عائله النبى، اهل الكساء، المطهرون من كل رجس، ذريته، اوصياؤه، احب الناس اليه، الخط الطويل من بعده .

و تشابهت، فيما بين هذين البيتين، مسالك التأسيس، و تساوت سبل المناهج، فكان هذا طباق ذلك. يكفى الطباق تجانسا فهم الرساله و التعبير عنها قولا و عملا- فلقد عاش على حياته ممدود الكف ممدود الساعد- بذلا و دفاعا،

و لقد توفرت له الدنيا فلم ياخذها الا بتقثير، و حيا من عقيدته و تجسيدا لقدوه .
و مثلما الفت خديجه- بين يدى محمد- ثروه، لا لتوكل، بل لتصرف على قضيه، هكذا توصلت اليه- عبر زوجته فاطمه- نحل «فدك»، لا لتوكل ايضا، بل لتصرف على ذات القضيه، و مثلما كان ما بين يدى النبى مفتاح ثروات الجزيره، فلم يقبل الا ان يعيش و يموت

فقيرا، هكذا توصلت الى على مقاليد الثروات، ليس من الجزيره و حسب، بل حتى من اطراف امبراطويه طافحه بالذهب، و لم يقبل الا ان يعيش و يموت و هو يخصف نعله و يرفع مدرعته، و ملثما تزوجت خديجه رجلا احب فيه طيفا خلف عينيه، هكذا تزوجت فاطمه رجلا احبته طيفا فى عين ابياها .

و عاشت فاطمه تحت ظلين: ظل ابياها و ظل حليلها، و عانقت ريجانيتين- الحسن و الحسين- ذريه لرجلين: نبي و امام، و عانقت رهاقيتين: رهاقه الجسم، و رهاقه الحسن، و اختبرت عصرين: عصر الجاهليه، و عصر الانبياء، و احبت ابياها حبين: حب البنوه وحب الامومه، و صهرت بصهرين: مصهر الفقدان، و مصهر الحرمان .

بهذه الازدواجيه عاشت فاطمه الزهراء، صابره على مكاره الدهر، اقتناعا منها بصدق قضيه يلزمها الكثير من التجسيد و حسن الاخراج، و لقد جسدتها- كما جسدها ابوها و زوجها- بحيل طويل من الرضوخ و القناعه و الاستسلام، و بسلسله طويله من العزم و الاقدام و البطولات، و بالكثير من التضحيات .

و لقد رافق ذلك كله شموخ هو انعكاس تلك المتانته فى النفس تتصلب بالشعور بالحق و صدق الوجدان. فقضيه «فدك» ارثها من ابياها، بلورت فيها هذا الشموخ بكل انواعه، و ما كانت مطالبته بالارث الا تعبيرا عن هذا الشموخ فى تفلته من عنصر الخوف و الاستكانه .

و لقد قطعت شوطا بعيدا بهذا الدفاع عن حقها، لا لتصرفه على نفسها و بيتها لذه و ترفيها- لقد كان يانف خطها هذا الترفيه- بل لتصرفه فى سبيل تمديد القضيه، قضيتها و قضيه زوجها و ابياها .

و ما كان ابوبكر الصديق- و من خلفه عمر بن الخطاب- الا ليجابها امراه تحرمها الجاهليه حق البروز، و حق التمرس بكل انواع البطولات- لاول ان الاسلام امن لها هذه الجلوه، و لولا ان فى فاطمه الزهراء اعنفوان النفس التى تتخطى الحواجز - لمجابهه هذا الخط، كسفت فاطمه عن معصمها النحيل لتخوض معركة جانبيه، عميقه الاسباب، بعيده الجذور، و لم تدع الالم من فقدان ابياها، يدخرها عن متابعه الصراع، فكان لصوتها فى الحليه رنه ناقوس الدير يهيب بالرهبان الى الصلاه .

و هوت فاطمه فى الحليه- بعد موت ابياها بقليل- و بقى بعدها الخط يسجل وقع خطاها، و بقيت رنه الناقوس- على نعوتمتها- تتهادى من ظل الى ظل، لتنفجر جهادا فى باحه قصر الخليفه الثالث- عثمان بن عفان- زوج اختيها رقيه، و ام كلثوم، فى وزاجهما المكر- و لتنعقد و لاء لصاحب الحق الاصيل بالخلافه- الامام على .

و استمرت ساحه الاسلام لا يسلس لجوادها قياد، يرخيه يمين فيجذبه يسار ثم يرخيه يسار فيجذبه يمين، و راج الجواد من خيب الى خيل، و من خيل الى خيب، بين تيارين فى مقوده متنافرى الجذب متعاكسى الاتجاه: مفرق الى الكوفه- و مفرق الى الشام- معركة فى البصره و رواج فى صفين، اذان فى يثرب، و منجنيق على الكعبه. مد فى الاندلس و جزر فى الحجاز، انطلاق فى مصر و انقباض فى بغداد ...

و دماء اغزر من دجله... و حوار فى غيار... و دموع من سراب .

تلك نتيجه- لن يتبرا منها اجتماع السقيفه، و لن تحرم من نعمتها قضيه «فدك» .

ليت الرسول يوحى :

فتهدم سقيفه بنى ساعده .

و يبنى كل يهودى فى «فدك» .

فى الجبهه المعارضه- السقيفه

اما الجبهه المعارضه، فهى القديم الذى رضخ للواقع. و ما كان الرضوخ يوما غير الاستسلام، و لو ان الاستسلام يشبه الافتناع لانتهت المشاكل .

و القضيه التى جدت فى اقدامها و اكتسحت بصدق عزمها، و جدت فى المساندين لها هذين النوعين من المناصرين: فنه المقتنعين، و فنه المستسلمين. و لا يزال الخط حتى اليوم مقسوما بين مقتنعين و مستسلمين: الفئه الاولى هى التى ترى الحق من اجل الحق، اما الفئه الثانيه فهى التى لا ترى اليه الا من خلال المصالح الذاتيه .

و لقد مشى بالاسلام هذان النوعان من التأييد جنبا الى جنب، و كانا قوه فعلت فعلها الجبار- كانا جنبا الى جنب تحت عين القائد الاول، صاحب الفكره و ربه القضيه . و لكن- لما ذهب- رجع المستسلم يفتش عن مغانمه، و بقى المقتنع يتابع تثبيت مغانم الحق . و فنه المستلمين هى الفئه الاشد تنبها لكل اقتناص، لانها تكون دائما فى مركز التربص. و هكذا حصل، فما كاد النبى يغمض عينيه حتى كان ابوسفيان و من لف لفه من الذين ناهضوا الدعوه فى مستهلها، ثم اليها استسلموا، قد انتهوا من تدبير الخطه التى ما احكمت الا لتجر اليهم وحدهم، كل المكاسب .

ذلك كان اجتماع السقيفه- سقيفه بنى ساعاه- خرج منها المجتمعون باسناد الخلافه الى ابى بكر الصديق . انه صحابه له وزن بين اللفيغ الذى عاون فى انطلاق الرساله و لقد ربطه النبى اليه برباط قري- بزواج- ان عائشه، ام المومنين الثانيه، هى بنت الصديق، و هى التى ستقود المعارضه- فيما بعد- ضد ابن عم النبى، و ضد ابنته فاطمه، سيكون لها شان فى معركة الجمل .

فى الساعه التى مات فيها النبى، ظهرت على المسرح الالوان و انقسمت الساعه الى جبهتين: جبهه البيت و اهله و معه الانصار، وجبهه قسم من الصحابه ذوى الزعامات القديمه التقليدي فى تاريخ الجزيره .

و سيتوالى على الحكم ثلاثه من اولئك الصحابين قبل ان ينقلب الحكم الى مصلحه الامام على، و ستكون قضيه «فدك» مفتاحا من مفاتيح ذلك الانقلاب .

هكذا تبادل الخطان المنقسمان دروبهما، فالذى كان فى البدء مستسلما اصبح فى مركز الاصله، و الذى كان مقتنعا اضحى من المستسلمين الراضخين، و بالتالى من فنه المتربصين .

ان الثوره على عثمان بن عفان كانت نتيجه ذلك الاختلاس و الانحراف عن الواقع .

ولكن الخلاف اصبح من نوع التجاذب الذى لا ينتهى. لقد لبسته الاجيال سجالا .

اما الجزيره التى انطلقت الرساله منها و لها، فانها تمزقت بين خطين: واحد ربطها بالشام، و آخر ربطها بالكوفه، ثم تشعبت خطوط الضغط عليها، لتعود فتفرق من جديد تحت ضباب، و لا فرق ان كان من سراب ام كان من غبار ...

فدك

فى مستهل هذه الصجحه التى زعق غبارها، برزت قضيه «فدك» عاقده على خصرها زناد حداد، و لقد كان واضحا خط الضغط فيها . انها نجله من الرسول لابنته فاطمه، و هى مقاطعه يهوديه، صالح النبى اهلوها بتقديمها اليه- هبه دون حرب- فحقت له صرفا. لم يشتر فى سبيلها حسام، و لم ترق عليها نقطه دم، لذلك ليس للجهد حق عليها .

قد يخلق الاجتهاد ما يشاء- فلنقل مثلا: لو لم يكن الجهاد هو الذى اكسب النبى منعه الجانب، لما كانت فدك لتصل اليه . ان فى ذلك وجه منطوق، ولكن الرسول هو الذى يوصى، الذى اغنى الجزيره بالفدك... لماذا لا يحق له ان يوصى؟ ان يورث؟، ثم ان الذى اوصى بفدك ليس النبى، انه الاب الذى انجب... و الوارث- من جهه تاليه- ليت نبيا، انها الابنه التى لها لحم و دم، انها التى لا تعيش الا بالخبز و الماء، و بكل حقها من الارث ...

ثم هنالك الاحترام- احترام ذلك الذى كان الملم المعمر- ذلك الذى قسم الشرع، و ظهر الحقوق و الموجبات، و وضع الحدود و المقاييس، لقد كانت كل كلمه من كلماته شرعا... لماذا لا يحق له ان يوصى؟

«كل ما يرضى فاطمه يرضيني .
«كل ما يفض فاطمه يفضيني .
لماذا الشهود على الوصيه فى «فدك»؟ اليست هذه- ايضاً- وصيه تثبت كل وصيه؟ وهذه لم يلزمها اى شاهد ...
فلنعد الى الخط التاريخى :
وصلت «فدك» الى يد النبى فاوصى بها الى فاطمه .
مات النبى، فتوصلت الخلافة الى ابى بكر الصديق فى اجتماع السقيفه، كان غائباً عن هذا الاجتماع على بن ابى طالب لانهماكه بتجهيز جنازه الرسول .
ما كاد اهل البيت يفيقون من لملمه المصاب حتى تكشفت امام عيونهم خيوط الموماره .
مهما يكن من امر- تم السكوت فى قضيه الخلافه، درء لاي تفسخ يضر بالوحده .
قطعت فاطمه عن ميراثها فاقدت مطالب به- فى مجلس الخليفه بالذات- بخطاب مفند .
طلب اليها تقديم الشهود بالوصيه، قدمت شهودها، لم تنجح، دعمت حقها بالارث بكل آبه وردت فى الكتاب الشريف- فى ما يختص بيحيى بن زكريا، اذ يقول :
(رب هب لى من لدنك ذريه يرثنى و يرث من آل يعقوب .)
او (وورث سليمان داوود .)
او: «أولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله .»
او: (يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .)
كل ذلك لم يلق اذنا صاعيه .
و راحت «فاطمه» تتربص، تحرك المشاعر، و هى التحيله الناعمه ...
لا اشك فى انها اصبحت:- و ترا فى غمد -

ختم البحث

تلك المامه لم يتوفر لها الا الخط العريض- اكان تاريخاً و اجتماعاً ام راياً و تعليلاً -
فى مثل هذا الجو عاشت فاطمه الزهراء، متأثره بمحيطها، و بهاله و ضاءه عمر كيانها بها ابوها النبى و زوجها الامام .
بهذه الهاله انتشحت فانجبت الحسن و الحسين- و بهذه الهاله فادت معركة ابوها و زوجها فى الساحة التى برز لها فيها ابوبكر الصديق و من خلفه عمر بن الخطاب، و بفعل هذه الهاله انفرط الكرسي من تحت عثمان بن عفان .
و بقيت لها هذه الهاله فى اقصى المغرب و اقصى المشرق، ليكون لها دوله فى مصر -فيما بعد بثلاثه قرون- تتيمن باسمها و تبرك .
و هى عينها اليوم- تلك الهاله- توحى لها الاجلال و المحبه و التقدير، فهى سيده كل عبق من كل طهر و كل عفاف .

خطوط

عناصر البحث :

على طريق القوافل

اكبر القوافل

قافله محمد

خديجه

بيت النبى

القافله الجديده

دثار

بعد الانذار

الرفيق

رهاقه

المراه

على طريق القوافل

و العرويه... بم اخط خطوه فى صحاريها- ولكنى اجتزتها بخيالى فانفتحت امام خاطرى حرارتها المحروقه بسيول اللهب، و نفوذها المطروحه الامداء كانها اشباح الليالى الطوال، او صرصرات العصور المجديه .
و لقد انفتحت كل آفاقها على ابعاد متراميه الاطراف، مغلفه الرمولى بنشفه موحشه .
كان ذلك منذ البعيد البعيد، منذ انفك عن خصرها طوق الجليد فانفتلت تغمرها الشمس بدوافق السعير، لتنتشر فوق صحاريها امواج السراب كانما هى كل احلامها فى استدراى الدير .
هكذا ربى الانسان فيها عدا، وسع فيا فيها، من حره الى حره و من فدفد الى فدفد، قفزا على قفز، طول الليالى... لقد مل-
السراب معينا من ملافح النار . و بئر زمزم لم تتسع ربا- فوهتها لاكثر من (هاجر) و ابنها اسماعيل- لذلك امتطى العتمة- فى كل عشيه- وراء كل قطره ندى او مخايله سحاب .
و كان العراق مهبطا من اغص المهابط... و اذا القبلوله تنبسط من شطئان دجله و الفرات لتتوسد كل خميله تزهو على ضفاف (بردى) او تحت بواشق (الغوطة) .
و امتد حبل القوافل من مكه الى الكوفه- الى شنعار- الشام و التيماء و البتراء: تخرج بالعبير و تعود بالحريز ...
و اعتاد ابن الجزيره شد الرواحل، و راح ينقل اسفاره صوب تلك المراوح. لم يكن ذلك ساما اكثر مما كان توقا الى غصن ظليل و نسمة عليله، اكثر مما كان حاجه لتطوير حياه جمدها الاغبره فيب نطاق الرتابه، و هصرتها الشمس تحت الخيام و الاطناب، و لفحها الشح برجفان السراب و قحط السحب .
و الحق يقال: ان كل تطوير فى حياه الجزيره كان بفضل هذا الجوار الذى انفتح امام زحوفات القوافل فى مدود ارتحاليه و مدارات تجاريه طويله الامد، سبقت زحوفات الفرس و اليونان و الرومان، قبل ان يكون لهؤلاء كيانات اجتماعيه منظمه الروافد، قبل ان يهبط ابراهيم بهاجر و اسماعيل، و يتركهما فوق الارض التى انفجرت منها بئر زمزم. كان ذلك مع اولى لمحات التاريخ، مع اول انسان تمكن من خرق الخط الرملى الكثيف، مع تلك العهود الاكاديه- السومريه- الكنعانيه- العموريه .
هكذا كان ابن الجزيره يفيض فى هجراته- على ظهر القوافل- فى موجه اثر موجه، نزوحاً و رجوعاً: مع العرب البائده من ملوك حمير و بنى كوش و قوم عاد و قوم ثمود و العمالفه، و مع العرب العاربه من بنى قحطان و حضرموت، و مع العرب المستعربه بابراهيم و اسماعيل و عدنان .
و هكذا رسمت خطوط القوافل على طريق البحر الاحمر، و خليج عقبه الى ايلات، و من هناك الى صور و صيدا، و الى طول الشاطئ الفينيقي القديم تحت عين (حيرام) ملك صور .

و هكذا كان ينتقل، من الحجاز و اليمن: البخور و الطيب و المر و العود و للولو- و موجات من الانسان... و يدخل اليها الذهب و القصدير و العاج و خشب الصندل و الابنوس و ريش النعام، و يدخل معها الفكر ملقحا بثقافات تعبت فى تحتها اجيال الانسان و مدنيتا مجتمعانه .

ففى الجوار كانت مدنيتا السرمويين الاكاديين يتوارثها الاشوريون و البابليون و الكنعانيون و الفينيقيون، ليعكسوها على قبائل الفرس شرقا، و على قبائل اليونان و الرومان فى غربى المتوسط .

و اشتركت القوافل فى نقل هذه التراثات من قواعدها برا على متون الرواحل، و بحرا على خشبات السفن . و امتزجت القبائل المهاجرة من الجزيرة بالعائده اليها فى خط تم فيه الاختلاط و الامتزاج و الالتحام، مما اضفى على العروبه اطارا موحدا لكل هولاء الذين اندمجوا فى خط تاريخى بعيد الغور، سحقى المدى، و ثيق التفاعل .

لهذا جاء الفتح فى صدر الاسلام- تحمله القرابه- سهلا هينا. و حيث كانت القرابه اكثر و فره كان القبول بالاسلام اكثر يسرا . على الخط الذى كان يصل مکه بالشام كانت القافله الكبيره تسير- قافله خديجه

اكبر القوافل

و كانت على الخط قافله خديجه- لم تكن الاولى بين القوافل، لا بوجده رجالها و لا بانتظام سمتها . و لطالما نظم عقدها (ميسره) فرج بها على يثرب ليمسح عن اوراكها اوحال الغبار، و ينفض عن كتفيه و عتاء السفر، ليعود فيستانف السير فى قلب البوادي على حدو اصم، ناشف الخف، يابس الوتر، لينكب فى وادى سرحان مستانسا بنسيمات رطبيه تنزلق اليه على طول هذا الساحل المتاخم للبحر الاحمر، ليشرف- بعد طول عتاء- على البواسق الغوطيه و الخامل السندسيه التى تغترشها بلاد الشام .

اجل- لم تكن قافله خديجه القافله الاولى بين مکه و الغوطه، او بين مکه و العراق، فطالما شاهد وادى الرمه و بريده نجد خطوط القوافل منساقه على حدو رتيب تساجلته اوديه الجزيره، و استعذبتة اذان الابل . و لكن قافله خديجه هى القافله التى تسصبح عين القوافل، هى التى ستفقه معنى الانفتاح، هى التى ستنتقل بالاحتكاك من مفهومه التجارى المادى المحدود الى انطلاقه الخير الواسع المفتوح- الى المدى الرحب- الى المدى الارحب الذى يوسع اجواء الجزيره .

اجل، اجواء الجزيره- بالذات، الواسعه، المفتوحه، الهائمه الحدود- المتراميه الاطراف: من خليج العدن الى الخليج الفارسى، الى خليج العقبه- من حضر موت، الى الاحقاف- الى الربع الخالى، الدهماء، الى الحجاز، الى تيماء النفوذ... مع كل ما فيها و ما عليها من عشائر و قبائل و انماط عيش و وراثتات تقاليد .

كل ذلك الوسع كان اضيق من ان يجمع شعبا و يسبغ عليه لونا مجتمعييا سمح الاهداب رتيب القيافه . و تغير لون القافله، لقد بقى فيها (ميسره) ليمشى فى غيرها. اما الامين محمد، فلقد حل فيها ليشعل النار فى اوتادها، ليحرق اطنابها على الدروب، ليذريها رمادا فى سماء الجزيره، فطرات ندى فوق احقافها و نفوذها و دهمائها- ليصبح صوت (بلال) قرار الحدو بين حداتها .

قافله محمد

و التهب قافله خديجه: بلفته عين، بهمسه قلب، بومضه روح، بشعاع ما لمس ساكنيه حتى سطع وهجه، بشعور ما لمح حسه حتى اج سعيره .

و انتدب محمد لقياده القافله... ما عرج على يثرب الا لياخذ حفته من الترابه التى امتصت رفاه ابيه، هناك ثوى «عبدالله» و هو يقود قافله مکه صوب المناهل، و لكنه مات صديانا، و الى مکه لم يرجع .

ثم مشى محمد، و هو يعرف كيف يمشى، و مشى معه التوق و الايمان، و اختفى من امامه السراب فى ظل غمامه، لقد امتصت الحفته التى فى يديه من بقايا ابيه- اوهام الرحيل و اعباء الطريق، لقد ادرك فى مثنوى ابيه سر الشهاده ...

لقد تمكن من هضم العتاء فى السير الطويل- ان الجزيره التى مشيت- منذ الاف السنين -على درب القوافل، لم تجن- قط- ثمره اتعاب المسير على حدو الرواحل، ذهبت فى عطش و لم توب مره على غير عطش .

اماه (ميسره) فسيظل فى يده مقود عبر القافله، و سيبقى مشدوها بين يدى رجل مشى الخط الطويل و لم يتعب، لان «ميسره» الذى كان يمشى بقدميه و اوصاله، هو غير «محمد» الذى كان ينتقل بفكره و خياله .

و سيعود «ميسره» الى مکه عطشانا- لان ما دفع الى السير من مکه كان ثقل السراب، اما «محمد» فان السراب كان تحت قدميه لما مشى، و سيعود بكل غمامه تمحو من جو الجزيره اطلال السراب .

و لقد وجد فى جو الشام سرايا- فوق بردى و فوق شواطىء الاردن لمح السراب... لقد مات «عيسى» مخنوقا فوق صليب، من وطاه السراب هذا تنفخ به فى الجو غطرسه روما... لقد كانت العبوديه فى الشام ذياك السراب... شهد له بذلك- على طريق -الراهب «بحيرا» .

و رج «محمد» يلقى بين يديه خديجه جنى القافله... و رنت اليه بعين، و حديث عليه بقلب، و حنت اليه بروح، و ضمته بشوق، لقد ادركت- من عينيه- تصميم العقل و عزم البطوله .

و رمت تحت قدميه كل ما ردت عليها- من قبل- اعقاب القوافل و الوقت بين يديه احلال المصير .

خديجه

و قلب خديجه كان يتلفع بالسراب، على ظما فى الفكر و فى الروح و على لوعه الواقف على المفرق الحائر، و على حنين موود، كانه عناق الخيال فى الكرى او مداعبه الطيف فى خاطر .

تلك احساس النفس يحجبها عن مدى الشوق ستار و عن تذوق الحق ازار... و ما كانت التقاليد الموروثه فى مجتمع خديجه لينيلها حق التعبير عن مدى الشوق فى نفسها الا فى نطاق مكبوت كان له الواد بالمرصاد ان فات الحدود .

هكذا تلقت خديجه بالافق المبهم تتلهى عن الرجال بشد الرجال و تلجم النهى بمناجاه السهوى . و فى اللحظه التى وجدت فيها منطلقا للاراده كسرت الطوق و ثارت على التقاليد، و كان لها من الحق ما اعتصمت به على الاقدام و التحقيق .

كان ذلك صادقا فى نفسها و فى ايمانها، لذلك كانت لها قوه الاقناع لانه كان لها من ايمانها كل الاقتناع . هكذا يتعين الحق اذ يترسخ الايمان به، و لن يلوى عن الحق عنان اذا دل عليه صدق الايمان .

لقد خفق الحب فى قلب خديجه، و فيه من الصدق مدافق، و فيه من الحياه تعابير الحياه عن نفسها: من صدق الوجدان و صدق العقل و صدق الاراده .

لقد فجر الحب فى قلب خديجه عقل وسعته التجارب فاصبح فى وجودها تلك المصفاه التى تنقى فيها العواطف من املاح الجسد لهذا كان حبا فى غمرته نقيا صافيا، لانه حب لم ينزلق الى القلب من الشرايين الا بعد ان مر على العقل فى مصافيه، و هذا هو الحب الذى يخلد فى غمرته .

هكذا احبت خديجه محمدا: ملامح نور لا ملافح نار، رجاحه عقل لا غصاضه عود- احبته بعقل الاربعين لا بغفله التسع، و لا بنزوه العشرين- احبته فى

اراده التعبير، فانسافت هي اليه و لم تسق- ولكل امرأه فى تنسيق الزواج: بين ان تسوق نفسها و بين ان تساق- بشير سعادة او نذير شقاء- تلك هي حرية الاراده ينبثق منها صدق الميل و صدق التعبير فى انشاء العقد الاجتماعى الصحيح الجذور . و كان لخديجه- من قبل- زواج باكر لم يتمتعها الا بارتشاف السراب لانه كان اراده مشلوله و قلبا موودا، كان فى نشقه الحس و تعقيم الشعور، كان سوفا و لم يكن شوفا، كان تسييرا و لم يكن تعبيرا، كان عاده و تقليدا، و لم يكن رايا و توليدا، كان و ادا و لم يكن و قدا، كان وزارا و لم يكن ازرا، كان كسبا و لم يكن حيا . لهذا وقت- بعد ان فرط الموت هذا- الرباط- حيرى على المفروق الثائه، تعالج قلبها بكف جف ملمسها، و تحنو عليه بعين خف لموعها، و راحت معه تتلهى على طريق القوافل . و اصبح لها على الدرب الطويل رغبه الكاشف و خبره الدليل، مع لمح الذكى و فطنه النبيه . و تمت لها- فى محمد- هديه القلب الى المعين، و كان لها من صدق الحسن ارتكاز الاراده على عاطفه مجلوه، لهذا لم تتردد- فى ثوره على التقاليد- و اقبلت تعرض هي على محمد- تجسيد هذا الحب، و صب هذا الحنين فى قلبه و استمطار هذه الاديمه من مجاريها . و تضالعت بين يدي حبها الكبير مجاهيد دنياها، و ذاب من تحت عينها بريق الذهب، ذلك كان ايمان الحب بالحب، و ذلك كان التجريد الذى اختفى من تحته و هج السراب . اما الامين محمد- فانه ما استجاب لهذا الحب الذى مرت عليه البواكير، الا و هو يشعر بان قلب خديجه لم تخفق- الا اليوم- فيه بكارته، و لقد خفق معه العقل فتوحدت فيه الخليجان . و لم يلح على جبين خديجه غصون الاربعين، و فى عينها كانت تطوف فتوه الروح و صلابه العزم- و هو الوحيد المدرك ان الجسد ثويه الروح و لا قيمه له الا بها . و ها هو اليوم- فى عمره شبابه، و فى ربيع الخامس و العشرين- ما نفرت على عوده بعد نغمه فيها من الحب المستطاب كالنغمه التى وجلت بها خديجه الى كيانه، لا بلونها و لا بعمقها: فلقد كانت جريئه كانها البطوله فى اقتحام الحصون، و باهره كانها لمعان السيف سحب لاول مره من غمده . و لقد وجد فى هذا الحب ثروه ذابت فى كنز، كانها الهشيم لا يجمع الا ليحرق فى كل ليل هابط، استجماعا لدفء او استناره لقرى . هكذا القت خديجه- بين يديه، على بساط هذا لوله- ثروه نبذت قيمتها لتجعلها وسيله بلوغ الى اهداف، كانها الشموع التى لا تذاب الا فى اضاءه المحاريب .

البيت الجديد

و رفت على البيت الجديد سعادة فيها من الندى كل طراوه- و راح السكون يغلف كل عشيه و كل سحر . و درجت فى باح البيت- على التوالى- ثمرات هذا الزواج الهانى: من رقيه الى ام كلثوم و من زينب الى الوسيمه الزهراء . و كانت هناك- فى الركن السموح- زاويه كانها المظله، يدرج فيها ايضا فتى صبور كانه بدايه الصبح من خلف الافق، فتى ضمه العطف الى كف ابن عمه، فربى فيه كما يربو القلب فى حنوه الصلوع، انه الفتى على . و مع كل سجو اصل كانت تشهد العشايا انسلال طيف الى غار لا يعود منه الا فى ظل سحابه . و شب البيت على تلك الرهافه: على دعابه لاهيه كانها البراهه و على صمت خافق كانه الارتقاب، فكل ما فى البيت جوانيس، و كل ما فى البيت جو رهيب، يلمسه الحنان بكف و يخشعه الجلال بجبين، ياخذة الحيا بمرح و تضبطه المهابه باجاء، فهو جو يشبه الافق: قريب من الارض و عن الارض بعيد . هكذا مدت بن هذا البيت و (غار حراء) سلك مزدوج البطانه: هذى حرير و تلك اثير . و عاج بالبيت هذا الحرير، و غام البيت بهذا الاثير . و عمق الحب حتى لمعت به العين . و عظم الاجلال حتى عمق به الصمت . و عز الوصف، فالبيت بيت النبى .

القافله الجديده

لقد مات ميسره- خنقته اعبره الطريق ! و غير القافله. اختنق- بمقوده البالى اختنق ! . لقد بقيت هناك بعض النوق باركه تجتر لعابها و تترام على فصلانها، بانتظار من يهزمها الى سير جديد . و لن نهمز هذه المره على العدو العتيق، و لن يستشار- فى اقلاعها- لا راى المنجمين و لا ضرب القداح، و لن تلجا الى اجتناب كل نهار محرور او كل ليل مقرر، و لن تكون موسميته منتظره او جانبيه ميتسره- ولن يعرج بها- تيمنا- بين يدي العزى او تحت اقدام هبل، و لن يبتد بها حبل من سراب او وتر من تراب، ولن يغد السير فيها جهد عقيم او عزم قاحط . كل شىء قد اعد للقافله الجديده- فى غار حراء-: لقد شد لها العقل، و الشوق، و الايمان- الفكر، و العزم، و البصيره- و تاملات كانها الفوص، و انفتاحات كانها لانعتاق، و استراحات كانها الانطلاق، و تصاميم كانها البطولات، و عبقرية هي كل الارتكاز . كل شىء تهيأ- لقد هتف النداء : «ايها المدثر- قم فانذر .»

دثار

لقد ارتجت الانسان فى محمد- فادثر. و انسان محمد هو ربيب الجزيره يعرف تقاليدها و اوهاهما، و كل حساباتها و ارقامها . ليس قليلا- على محمد- ان ينقض الغبار عن كل هذه الصحارى و ليس خفيفا عليه ان يخنق كل هذا السراب . و لم تكن القوافل فى الجزيره الا لتكاكل من هذا الغبار على غير شيع، و تشرب من هذا السراب على غير رى . ان يشيع الجزيره- من جنى الجزيره، و ان يروى الجزيره- من معين الجزيره- كان عليه ان يصفل الجزيره بانسان الجزيره . و لن يكون العمل الضخم الا على حساب عمر يشحنه بالعزم و التصميم و البطولات . خاف الانسان فيه فارتجف و ادثر . و استيقظ الروح فيه، فهب و اندر .

بعد الانذار

ان الكوه التى انفتحت فى (غار حراء) تلتقطت بالفضاء و راحت تربط الارض بالسماء. لقد اصبح للجزيره كتاب يماشيا و يرفع الانسان فيها الى مرتبه، لقد تعين الجهاد فى سبيل اعلاء قيمه الكلمه- تلك الكلمه التى تفسر معانى الحياه فى اجل معانيها و روابطها- و لقد بدا الانطلاق مع التصميم المدروس بثير الهمم و يحرك الحوافز، و لقد اخذ الوعى يستشار مع الاستعداد لكل عمر خطير و مع القبول بالتضحيات على حساب اى مصير- و لن يقف فى الدرب لا خوف و لا قلق- ان القضية اجل من ان يرهقها الجبن و امتن من ان يجمدها الخوف و ائمن من ان يقيمه الفقر، ان مرحله الخوف تخطاها التصميم البطولى، ان الوعى النفسى تجلت

قيمته مع كل عزم على التنفيذ. لقد رمى الدثار جانبا، لقد اصبح مجرد دثار مغزول من وبر الابل. ان الذى كان تحت الدثار اصبح قوه انطلاق لا تحتاج بعد اليوم دثارا يتخبأ تحته راس «نعامة» .

(ايها المدرث، قم فانذر .)
و كان الانذار- باسم الله توحيدا- و كان الانذار نزولا الى الساحة الرحبه بذلا و سخاء- بذل اعراق و دموع مع السهر الطويل، مع التشريد، مع الفقر و الجوع، و مع الصبر الجميل، و مع الاحتمال و الرضى .
اى شى ء سيتمكن من الصمود امام التصميم- ان الهجره الى الحبشه لن تكون غير اراده ما انسحبت عن الخط الا لتعود اليه مع الايمان المتمكن و مع البطوله المصقوله .
و هبت الجزيرة تقاوم الزحف المقدس، راح المريض يعض يد المداوى، لقد رفضت العين الرمءاء جلوه المرود .
ولكن قوه الحق هى التى فرضت نفسها فى الميدان، لقد رضخ المريض لمشيئه الطبيب، و لن تكون الهجره الثانيه الى المدينه الا جمعا لتشمل و ترسيخا لبنيان سوف تشهق من فوقه ذروات الماذن .
فى المدينه المنوره لاقى فاطمه اباها لتمسح عن جبينه الطاهر اعراق الجهاد- غبار الدروب عبر الصحارى- غبار التشريد و اتعاب التسهيد لتلقى راسها الصغير على صدره فتسمع دقات قلبه الكبير، و لتنتيه بابيها كبيرا .
لقد تم الانذار، و تم التبشير، و اصحت الرساله تحقيقا جمع الجزيرة من حواشيتها نحو اندفاع ما شهد التاريخ له مثيلا .

الرفيق

نعم الرفيق الفتى الصبح .
لقد مشى الطريق بعينه قبيل ان يمشيها بقدميه .
شرب السحاب، و لما بهم بعد السحاب. و استمطر الغمامه، و لما تكثف بعد الغمامه .
و ما كان على بن ابي طلب- فى هذه السنين القليله من عمره: اكانت سعيها ام بلغت تسعا- الا من هولاء القله النادرين الذين يقفزون من فوق عتبات المداخل، من هولاء الذين يومون الحياه بواكير فى مواسمها .
و لم تكن العشره السنيه لتضفى عليه اكثر مما يضى على المرمز ازميل النحات، و على اللوحه ريشه الفنان، و على الوتر نقره الموهوب .
و ما كان الجو الذى ربي فيه الا ليكون له منه كانعكاس النور على الصفحه الصافيه و كارتجاع الصوت من مجوف الكهف .
و لقد ادرك نور محمد ايه صفحه صقيه يداعب، و لقد ادرك صوت محمد اى كهف عميق بناجى .
لهذا انفتل على بين يديه كما تنفتل العجينه فى يد العجان، برقها بكفه و يخبزها بفرته .
و اصبح على من محمد: رجع صوت، و انعكاس نور، و خبير فرن، و ركيزه تحقيق ، و صدر مشورات، بيكار هندسه، و مدى انطلاق .
و اصبح سيفا .
و اصبح ترسا .
و اصبح ارثا، و وسع مجال .

رهافه

بينما كانت هناك الاخوات الكبيرات يتقدمن الى عتباب الحياه، ليخرجن- الواحده تلو الاخرى- الى مضمار الواقع، كانت الصغرى فاطمه، تودع كلا منهن لتزيد من ولوعها بامها و ابيها .
لقد حملت «زينب» الى بيتها الجديد حيث كان ينتظرها المصير المترجرج بين يدى ابي العاص ابن الربيع، و كذلك تقدمت «ام جميل» زوجة ابي لهب و حماله الحطب- فانتشلت من حضن هذا البيت الكريم «رقيه» و «ام كلثوم» لتجعلهما فى عهدتى و لديها «عتبه» و «عتيبه»: رجلين وصلت اليهما- وضاعت- سبل المكارم .
و بقيت فى البيت «فاطمه» تملأ الفراغ فيه، لقد غابت عن البيت مازر و بقى فى البيت و شاح .
و راحت «فاطمه» تسرح فى البيت الخالى، تعى و تتامل، لقد بقى لها وحدها هذا البيت، فهى صغيرته، و لقد اصبحت رابعه ثلاثه فيه لكل واحد منهم فى قلبها ظل مونس، :و لها فى نفس كل واحد منهم عطف خصب .
و عاشت موفوره الدلال ملونه العواطف، مرهفه الحس منزهه الشمانل، على انوته تعهدتها كف امها بشمله الحب المعفف، و عين ابيها بغمرة الحنان المطهر، و رفقته على بخفقه القلب الطهر البرى ء .
و عين ابيها- يا لعين ابيها- تشرب العطف منها مناهل كانها الصيب السكيب من الكوثر .
و غرقت «فاطمه» فى حضن ابيها، بين ذراعيه، و تحت عينيه: يشمها كانها السوسنه، يضمها كانها الشوق، يعانقها كانها الحنين، يلثمها كانها البراءه .

لقد تفردت «فاطمه» بالحب العظيم، اى شى ء فيها كان الموحى؟ اهى الطفوله فى براءتها، ام هى النجاه المتوسمه؟
و كبرت «فاطمه» و تجلت معها براءه الطفوله و نما معها الحس المرهف، و توسعت حدقتها، لقد اصبحت تنظر الى ابيها فتراه افقا وراء افق، خطا خلف خط، غارا فوق غور، حيا خلفه مدى، عطا فادونه عمق، فكرا خلفه بصيره، حكمه وراءها قصد، جسما طيه روح.
و اصبح حبا لابيها حبا فيها من الاجلال بقدر ما فيه من التفانى، و انطوى عطف منه عليها على عطف منها عليه، فاصبح العطفان من معدن واحد .

لم تخب النجاهه المتوسمه- لهذا كان حب الاب لابنته حيا فريدا، و لهذا كان حب الفتاه لابيها حيا غنيا، و لهذا قال الاب الكبير :

«ما يغضب «فاطمه» يغضبى

و ما يرضى «فاطمه» يرضينى .»

و توالت العواامل- فيما بعد- على «فاطمه» تشخذ هذا الحس فتزيد رهافته، ففى الوقت الذى انقلب فيه حبا لابيها من نطاق حب بنوى الى تقدير بالغ الخطوره، اصبحت لها عين كالسهوم و اذن كانها الغور، و اصبح لها قلب كانه اللين، و فودا كانه الوهج البعيد .
لقد تحكمت العقل بهذا المعدن، فطاب الوجد فيه مع النهى كما يطيب السيف على المشخذ، و هانت عليها رساله ابيها- لم تنق لغزا خفيا: فهى رساله، ان توخذ بالادراك المتبصر، فانها توخذ- ايضا- باللمح الناعم، و لن تكون مهمه الادراك لغير جلوه هذا الحس فى منبع الشعور .

لهذا انعكس ابوها فى وجدانها، فامتصته فى عقلها و عبرت عنه فى عاطفتها، و بفضل هذا الحب ازدوجت لها الحالتان، فهى بنت ابيها فى الوقت الذى اصبح فيه «ام ابيها»-«و تلك اول تسجيله حلوه من نوعها تاخذها صفحه ناعمه من صفحات التاريخ .
و على- بينما كان فى المبتدا مجرد انيس طفوله و رفيق ملعب، اصبح- بعد ان شبت و شب- خيالا لطيف، و مراه لجين، لقد اصبحت ترى فى عينيه طيف ابيها. و ظل ذباك الجبين .

و لقد كانت تهواه فى كل انعكاس برى ء الصفاء- تهواه فى انعكاس عقلها على قلبها، و اصبحت تهواه معكوسا عليه و هج ابيها .
هكذا اصبح لها جلوات الروى و توجيه الميول- لقد اغتسلت شرايينها فى تلافيف عقلها، و انطقت مجامر الدم فى هذا الحنين .
و لن تحب رجلا لانها لحم ووتر و لانه عظم و عضل، و تسحب رجلا يكون و شاحا و خيالا و فكرا و ايجاء .
و لن يكون سير الغضيه التى نفع بها ابوها على المزمرا الا على درب كله شوك و تبريح، و لن يثبت عليه الا كل بطل له العبقريه سيف و الحسن المرهف جناد .

و لقد بدأت طلالت العاصفه تثير الغبار، لقد رجعت الى البيت «زينب» من زواج خاسر، صيغ على وزن اللحم و الدم، و ستعود فى غد «رقيه» و «ام كلثوم» من زواج عقد على الوزن المماثل .

و تلك اضافة اخرى فى بطانه القالب الذى كانت تتوسع عليه حدقه عين «فاطمه»، فاصبح لها راي متنكر لكل زواج مماثل لزواج اخواتها- حتى اوضحت تفضل ان لا ترى رجلا .
ولكنها سوف ترى رجلا يرمز اشواقها و يكثف احلامها، و ستقتنع بصدق رجولته، لا و حسب- لان اباهما هو الذى سيدعوها الى الالتصاق به- بل لانها هى التى بعد ان اكتمل وسع حدقتها، اصبحت تملك عدسه المنظار .
كل شىء فى وجود «فاطمه» ساهم فى نحت شخصيتها فجهزها بهذا الحسن المرفه .
و لن تكف يد الموت عين امها الا لتغلب قلبها بهاله جديده من الالم و عمق التبصر .
و سيرهف حسها الى اقصى حدود الارهاق بموت ابيها النبى، و ستبكيه البكاء المقرح .
و ستصبح- مع رهاقه الحس- رهيفه الهيكل مع كل صدمه و كل خيبة
امل تنتظرها على الدرب المضى الذى وسع لها عليه صدر ابيها الراحل .
و ستذوق- مع مراره اليتيم- مراره الحرمان مع كل خطوه ستخطوها- ايضا- على الدرب الذى عرضت عليه خطوات زوجها الفارس الامين .
و ستهوى حافيه القدمين، نحيله الخصر و القوام من فرط تلك الرهاقه التى جعلتها بحق :

جلوه عصرها و سيده نساء العالمين .

المراه

و المراه- فى كل آن و زمان- انها هى رفيقه الرجل، لا تنفصل عنه الا لتلتصق به فى حركه انجذابه ممغنطه القطب مقفله الدوائر، فهى منه و له كالجذء من الكل و كالخيوط من النسيج. تلك هى الوحده فى ثنائيه وجوديه و ازدواجيه حياتيه، ما تمكن الانسان يوما من ان يملها و هو فى اطار هذا الكون .
و كانى بالرجل و المراه تكوين منفلق من خليه واحده الى شطرين يجمعهما دائما حين الخليه الى وحدتها، فى سيرها المنجذب ايدا الى تكميل ناموس الحياه .
و ليست المناصفه او المفاضله بين هذين الشطرين شرطا من شروط التقييم، فميزان التقييم فى الحياه لا تنشال فى كفته فلقه الا و الثانى معها على اتحد، باعتبار ان كلا من الشطرين متمم للثانى عن طريق التداخل و الالتزام .
فاما وجودهما منفصلين- متحدين، و اما فصلهما مبتعدين- ملتقيين، فى الحاله الاولى خصب الوجود، و فى الحاله الثانى فوهه العدم .
ليس ذلك فى اى معنى مجازى، فالمراه بعض الرجل، اكان طولها خمس اسداس طوله او وزنها سته اسباع، فالقضيه وجوديه حياتيه حتميه مزدوجه- كالليل و النهار فى تكوين الدوره اليوميه، و كالسليه و الايجابيه فى توليد الشراره، فالجزء الذى- اذ ما يلغ يلغ قيمه الكل- له حتما قيمه الكل .
من هنا ان المراه فى وجود الرجل شطر متمم للانسان فيه، و لا قيمه لها او له الا فى كونهما قطبين متكافلين متضامين، و لن تكون ايه عمليه حسابيه فى ايها اوزن او اطول، افهم او اكمل، اول او اجدر- الا كعمليه انشاء المفاضله بين اضلاع الزاويه او المستطيل: اى ضلع فى نظر البيكار- من هذا او تلك- اجدى او اكمل؟ فلكل خط من تلك الخطوط قيمه التكميل، و حذف اى ضلع يلغى الهندسه .

من هنا ان المراه فى وجود الرجل هى البعض الذى يتمم الاخر- اكان هذا البعض انعم او اخشن، اطول او اقصر، افهم او اقل ادراكا، فمن الطولين يخرج الاطار الواحد كما يخرج مربع المستطيل من ضلعه الطويل مع ضلعه القصير، و من الثققلين يتجمع الوزن الصحيح كما يتجمع وزن السيف من ثقل قبضته مع ثقل شفرته، و من القيمتين تتولد القيمه الموحده، كما يتولد النعم من خشبه القيثاره مع حبل الوتر .
و الطالما يبحث قضيه المراه و الرجل على سلم المقايسه و الموازنه و المفاضله، فلم يبلغ طولها اكثر من سته اسباع طوله اكثر من سته اسباع طوله و وزنها اكثر من خمس اسداس وزنه- اما قيمتها فكانت تتمايل على مقياس منوى من حيث كانت- فى نظر بعض الاجيال- صفرا. ففى الجيل الخامس للميلاد كانت لا تزال تعقد المجامع للنظر فى هل هى انسان لها نفس؟ ام هى فى مرتبه اخرى لها بعض الامتيازات؟
و كانت تحسب سلعه من السلع او متعه للرجل يلهو بها على هواه و يتصرف بها كما يشاء- فالعصر السابق لصدر الاسلام كان له حق وادها دون اى قانون يطاله بالتجريم -حتى اذا جاء الاسلام متعها بحقوقها و اعتبرها اما و زوجة و خلصها من الواد و الحرمان .
و ما زالت المراه حتى اليوم، مع كل ما توصلت اليه مدنيات المجتمعات المتحضره - توزن بثقل جسدها و تقاس بطول قامتها و نحافه هيكلها، و تقيم منفصله، بنسبه مواهبها الذاتيه، دون اى قانون يطاله بالتجريم- حتى اذا جاء الاسلام متعها بحقوقها و اعتبرها اما و زوجة و خلصها من الواد و الحرمان .
و ما زالت المراه حتى اليوم، مع كل ما تصلت اليه مدنيات المجتمعات المتحضره - توزن بثقل جسدها و تقاس بطول قامتها و نحافه هيكلها، و تقيم منفصله، بنسبه مواهبها الذاتيه، دون ان تحسب جزء من الرجل و طلا عاكسا لحقيقته و رفيقه ملازمه له و بعضا متداخلا فى بعض .

و الصواب ان المراه ليست الا امتداد لكيان الرجل بتداخل صميمى فيه، و لن تفصل قيمتها عن قيمته طالما انها الحتميه المتممه لوجوده، و لن تقاس مواهبها الا بالنسبه الى مواهبه طالما انها الخليه التى تستمد من هذا الشطر مقومات وجودها .
فاذا ما طلب منها ان تكون عمق فكريا، و اكثر ثقافه، و اتمن اخلاقا، و اشد مراسا، و اقل ميعانا، و اخف عرورا، و اصدق لسانا، و اثبت جنا- فان ذلك
اولى ان يطلب الى الرجل ابرازه بجهد مضاعف حتى تتم على المراه عمليه الانعكاس .
فاذا شكى فى المراه من نقص فهو نقص الرجل يظهر فى المراه مثلها يظهره اللين فى العظام من نقص الاملاح فى الجسم، او كما يظهر الهزال فى العضلات من ضعف الغذاء فى البدان، او كما يظهر الشحوب فى الوجه من ضاله الحيويه فى الدم .
ان الرجل و المراه شطرا جسم واحد، فاذا كان الرجل يحاجه الى ام فالمراه رحمه، و اذا كان يحاجه الى رفيق فالمراه شوقه و حنينه، و اذا كان يحاجه الى ترفيه فهى كاسه و عبيره، و اذا كان يحاجه الى مجتمع فالمراه تربته و خصبه .
كل مجتمع لا يعتبر المراه بمثابه اليد اليسرى الى اليد اليمنى فى جسم الانسان، يكون مجتمعا مسوولا- الى حد بعيد- عن تخلفه عن السير فى مضمار التحقيق و التقدم و الفلاح .

تكثيف المشاهد

عناصر البحث :

دراسه
طريق المجد
بدايه الحوار
الوتر المجرور
اسامه
عتب
صدمه
بلاغه

دمعه
ثلاث نساء
خطاب فى باحه المسجد
البطوله
التسجيل
وتر فى غمد
فدك
ابنه النبى
زوجه على
ام الحسن والحسين
الامامه
الارث
البيع
بسمتان
اسماء بنت عميس

دراسه

من المفهوم ان عصر الجاهليه لم يكن يتمتع بشكل من الحكم الراقى. ان المجتمعات البدويه- شان مجتمع الجزيره- ليس لها اكثر من شكل او تفرطى تتحكم به روح قبليه. و لا يرافق هذا النوع من الحكم ذلك الولاء الصميم الذى يرافق الوحدات الاجتماعيه المتراپه بالمصالح والمصير. فالقبائل المشروره فى الجزيره، على طول رقعته شاسعه، تفصلها عن بعضها البعض صحار و كئبان، لم تكن لتجمعها تلك الوحده الحياتيه، و لم يكن لبرعاها ذلك الشعور .

ان ذلك لم يكن مطلقا فى الجزيره، فالحقوق الشخصيه كانت شبه معدومه، و الملك الفردى كان شبه معدوم، و لم يكن الفرد اكثر من وحده عدديه فى القبيله، يستعمل للغزو، فهو متنقل ابدأ مع قبيلته وراء الكلاء و التفتيش عن الاود .
و لم يكن بالامكان جمع هذه القبائل بهاتف من الاقناع العقلى- العلمى الذى يعين وحده المصالح مع وحده التفكير و وحده العمل و وحده التوجيه... لا يجد كل ذلك تلبيه له الا فى المجتمعات التاريخيه المتفقه التى مارست كل فضائل الاجتماع و استوعبت عمق المدارك. و هذا ما كانت تفتقر اليه قبائل الجزيره بحكم طبيعه ارضها و مناخها. لقد توصل الى هذا الفهم اولئك الذين هاجروا منها، الى ارض الراقدين- مثلا- فاندمجوا فى الارض التى هبطوا فيها، ووجدوا منها ارضا صالحه لهضم مجاهيدهم العقليه و الجسديه، هناك تولد لهم ذلك الولاء للارض التى انصبوا فيها- مثلا- فاندمجوا فى الارض التى هبطوا فيها، و وجدوا منها ارضا صالحه لهضم مجاهيدهم العقليه و الجسديه، هنالك تولد لهم ذلك الولاء للارض التى انصبوا فيها- مع الاكاديين او السومريين او الكنعانيين الفينيقيين- مع كل هؤلاء الاقوام اندمجت هجرات اهل القبائل من الجزيره فى تطوافهم القديم، فائتوا- باندماء جهم الذى تطور الى مدنيتان-ان الانسان يكون انعكاس البيئه التى يتفاعل فيها و معها تفاعلا تاريخيا .

ان الرسول لم يجهل هذه الحقيقه- حقيقه واقع مجتمع الجزيره- لهذا فانه لم يتمكن من جمع وحداتهم الا بفكره هبطت من فوق، فجال الدين بالتوحيد

يفعل ما لا تفعله ايه قوه اخرى، و لقد قال: (لو انفتحت ما فى الارض جميعا، ما الفت بين قلوبهم .)
لقد برزت عبقريه النبى بشكل حقق الاعجوبه، فالجزيره كانت باشد الحاجه الى قوه تترزم قبائلها المتفككه و نزعاتها المتغايره و ميولها المتشتته. لقد كانت بحاجه الى من يوجه قوافلها المهاجره نحو الافاده من خطوطها التجاريه اليابسه .

و لقد تم العمل بسرعه- لا معركة «احد» و لا معركة «بدر» تمكنا من ان نتوقفا فى درب المهاجرين الذين رجعوا لتنفيذ التصاميم المدروسه، و كانت الغلبه للذين كان عندهم التصميم على كل من لم يكن لديه اى تصميم. اما الشعب فهو الذى ينفذ دائما وراء القائد البطل- لست اقول:- عن فهم، بل عن انجرف و انقياد. لم يكن الفرد فى الجزيره- فى ذلك الحين على الاخص- ليولف تلك الجماعه الواعيه. ثم ان الفرد- فى كل حين- حتى فى المجتمعات الراقيه- شانه ضئيل فى التصرف، الا ان يكون من النوع الذى تليق به القيادة. ان المجتمعات التى يكثر فيها هذا العدد من الافراد المدركين، يرفعون نسبه الرقى فى مجتمعاتهم و يعينون، الى حد بعيد- بروز القاده اللامعين فيهم لتخف الاخطاء فى القيادة و اليتميز النجاح فى تطبيق المناهج .

و لم يبرز فى مجتمع الجزيره اى فرد تمكن من حصرالقيادة و نقشها على صفحات التاريخ- الا فى ظهور محمد- فحطم ابلغ رقم قياسى فى تاريخ خلود القاده العباقره .

غير ان النجاح الذى حققته الرساله الاسلاميه فى الامبراطوريه الضخمه التى غطت الشرق و الغرب لعهه قرون، و التى اكتسحت بتعاليمها مئات الملايين على وجه الارض، لم تحقق فعلها بقوه تلك القبائل التى زحفت هائمه من الجزيره، بل حققته بقوه قابليتها، و صدق نظرتها الى الحياه و الكون. اما ابن الجزيره، فانه جنى من منافعها ما تمكنت قابليته هو من الاخذ منها، و لقد فعلت فيه على حياه الرسول بنسبه ما تمكن الرسول نفسه من عكس التعاليم الرساليه عليه اشعاعا من شخصه الكريم: و جودا و تجسيدا و قوده و تمثيلا، و لما قبض الرسول- اى لما غاب

عن الجزيره هذا الحضور هذا التجسيد المائل امام العين- خبت الجذوه التى كانت تستمد من هذا المصدر و هجها و حرارتها، و انقسم- بسرعه مذهله- الخط الجامع الموحد، و استيقظت القبليه التى هجعت لمدته قليله من السنين .

ان الوقت الذى عاشه الرسول فى محيطه لم يكن كافيا لطبخ النفوس و جعلها تتمرس بالحق و الصواب، و لقد كان يدرك ان المجتمعات البشريره يلزمها تاريخ- لابل تلزمها صناعه التاريخ، و صناعه التاريخ لا تتم الا بالمدى الثقافى المتولد من الداب الحثيث فى مجالات الحياه الخمصيه و المولده، بالتمرس بكل ما هو انتاج صادق فى مجتمع صادق، كل ذلك تحتاجه المجتمعات الراقيه- و اخرى بمجتمع الجزيره الذى لم تلمسه بعد كف الحياه بحقيقه و اعيه، لذلك فهو بحاجة قصوى الى مدى، الى سلسله طويله من القاده الموجهين حتى تتم على ايديهم سبل التوجيه القويم و سبل المران الطويل .

ان شعب الجزيره كان بحاجة ماسه الى توجيه صادق يسلمه عن قبليته العمياء ليضعه على الخط الحضارى المتلقط بانتاج ذاتى هو وحده الذى يبقى مع كل مجتمع، ليبنى وحده ذلك المجتمع .

و شعب الجزيره- الذى بقى حتى هذا التاريخ، بلا قائد- يصعب عليه ان يخلق لنفسه مثل هذا القائد الذى رمت به اليها يد العنايه . من هنا كان حرص النبى على الفاء تبعات هذه الرساله الجليله و الطويله المدى على عاتق ولى يتركها اليه ليتوارثها عنه من بعده كل من سيصبح فيها اشد مراسا . و مع كل خطوه الى الامام يكون شعب الجزيره قد اصبح اكثر مرانا و اشد تعمقا بما يلقى عليه فى سبيل تأمين مصيره كمجتمع .

و لكن موت النبى لم يحقق اتمام الوصيه و اتمام المخطط لانمام النهج . ان الاجتماع الذى حصل فى السقيفه- و جثمان النبى لا يزال فاترا- كان اكبر دليل على اليقظه السريعه للميول المكبوتة المجمده تحت ضغط الهاله القدسيه

التي كانت تشيع من جبين المسجى الصامت الذى كان على قيد الحياه منذ ساعه، لقد وجدت تلك الميول- فى هذه اللحظه التاريخيه الواجمه- متنفسا لها فعبرت عن روح قبليه جاهليه لم تتمكن حتى الرساله من وادها .

ان الجزيره التى كان عليها ان تغرق فى صمت رهيب امام الجسد الواقف على عتبه تاريخها، راحت تداعب ترهاتها و تتلاعب بمقدساتها، ان النضيد الذى لف النبى به جيد الجزيره، حسيته الجزيره من زجاج عندما قطعت عقده و راحت تبعثره بين الغبار. و لقد كانت معذوره فانها لم تشهد قط- فى تاريخها- لالى ء ذات حجم .

طريق المجد

لقد سلك الاسلام طريق المجد، الاسلام الذى هو فكره مقتنعه بصدق نفسها، و الذى هو فكره تمكنت من توزيع ذاتها اشعه ايمان. و لقد كان الاسلام فكره توحيد، وحدت الخالق و وحدت العمل الجبار الذى انطلق تبشيرا و فتوحات .
تقبلته الشام فتحا «بسييرا» و تقبله العراق فتحا «بسييرا». و الشام- منذ الاف السنين- و هى تتقبل زحف القوافل، و هى اليوم تفتح صدرها لاعظم قافلته تتجدد فيها حبال النور. منذ ستة قرون، و هى تحاول- مع عيسى- تقليص شبح العليج الرومانى و لم تفلح. اما اليوم، فهى التى تمد يدها بسخاء للزحف المقدس الذى سيطرح بكرتستانس الثانى الى اليم. و ليس العراق باقل ارتباطا من الشام بحبل الاواصر، و لا اخف منها شوقا لتقويض اركان ايوان كسرى .
هكذا امسى التوحيد يخط طريق الفتوحات: الى العراق و الشام الى مصر و افريقيا، الى فارس و مهابط الهند، الى اوربا و حوض المتوسط. ان الفكرة التى بشرت بالتوحيد كانت لها جاذبيه التوحيد .
و لكن الكفاح الذى مشى به الاسلام كانت تتجاذبه- فى الفكرة الاصيله فيه -روحيتان: روحيه حضريه و روحيه مدرية، و مشيت الروحيتان متوحدتين الى هدف مشترك، و اندخدع التوحيد باسم التوحيد .
فالروحيه الحضريه هى التى اخذت لنفسها من الفكرة مبدءا و عقيدة تقيدت بهما بكل انضباط، لقد كان التشديد على العفه فى المسلك من اشد ما تقيدت به من موثيق. اما الفكرة الثانيه فهى التى مشيت بثوبها القديم، تقنعت بالفكره كما يتقنع المتسلل بالليل لاتمام عمليه غزو. هكذا هب مجمل القبائل فى الجزيره- باسم الجهاد- لتجعل من الكفاح محارز اغنام- لقد كانت فكره التوحيد فذه، ولكن الموحدين لم يكونوا كلهم افذاذ، لهذا مشى الفتح الى تحقيق يرافقه دائما خوف و قلق، اديا به الى انحطاط و انهيار .
«منذ البدايه و الفتح يعانى هذا العوارض، وبقى يعانىها فى سيره الطويل: عاناه على حياه النبى بالمومن و المرتد، و بالخلص الفاهم و المناصر المخائل، و فى ساعه موته عاناه: بالمومن بالجهاد دريا الى الحق، و بالمومن به دريا الى نفوذ ...
بفتح الشام عاناه: فتحا صادقا موديا الى انفتاح، و فتحا مغرضا موديا الى انغلاق ...»
هكذا نجح الفتح مع كل اصاله، و هكذا خاب مع كل زيع، و هكذا كانت دائما تنقل الهجرات تجاراتها من الجزيره، و يتقبلها الجوار، اكانت صادقا يعنى ام كانت هرفا يضىنى ...

بدايه الحوار

بعد موته النبى- بعد اجتماع السقيفه- بعد نقض الوصيتين: وصيه الخلافه لعلى، و وصيه الارث بفدك لفاطمه- شهد العالم الاسلامى بدايه حوار .
«و ليس احب الى الحوار من المنطق، و ليس اشفع للمنطق من العقل، و ليس اجلى للعقل من الهدى، و ليس اقرب الى الهدى من الصواب، و ليس اضمن للصواب من الحق، و ليس اجدر بالحق الا الذين انطوت فى نفوسهم تلك القيم، و اشرف ما فى القيم نقاوه الوجدان .»
و كل قضيه لا تستقيم بدون حوار. ان نهضات الامم ما تحقق الجليل منها الا بعد حوار طويل، و لا اقول ان الحوار لا يمتشق حساما فاصطراع العقائد يودى فى اغلب الاحايين الى انفتاح الثورات فى الشعوب لتحقيق من العقل، و ليس اجلى للعقل من الهدى، و ليس اقرب الى الهدى من الصواب، و ليس اضمن للصواب من الحق، و ليس اجدر بالحق الا الذين انطوت فى نفوسهم تلك القيم، و اشرف ما فى القيم نقاوه الوجدان .»
و كل قضيه لا تستقيم بدون حوار. ان نهضات الامم ما تحقق الجليل منها الا بعد حوار طويل، و لا اقول ان الحوار لا يمتشق حساما فاصطراع العقائد يودى فى اغلب الاحايين الى انفتاح الثورات فى الشعوب لتحقيق الافضل و الاسمى، انه الحوار الذى ينتكر للكلام و يمتشق الحسام .
غير ان مفهوم الحوار- بشكله الناضج- هو ذلك الذى يعتمد الافناع و سويله الى هدفه .اما اذا تعذر الافناع «فليسف اصدق انباء من الكتب .»
و يتميز الحوار- بين ان يكون رصينا او ان يكون مبدلا- برصانه المتحاورين و صدقهم، او باسفاهمهم و تخلفهم، و هنيئا لمجتمع يعتمد الحوار الرصين: حوار العقل و الحجج و المنطق- انه يكون مجتمعا يفتش تفتيشا عن المثل .
كلما كان الحوار رصينا، كان الوصول الى الحقيقه اضمن و اوفى و الحوار فى المجتمع هو الطريق المودى الى تطوير هذا المجتمع تطورا ناميا، و لا ينهض مجتمع بغير حوار .
ان الحوار الذى قام بعد موت النبى لم يكن من هذا الوزن، فالذين اجتمعوا فى السقيفه لم يستدرجوا المجتمع الى حوار، لقد تحاوروا فيها بينهم و لم يستدعوا الشق الاخر لا استكمال عناصر التنقيب و التوجيه .
ثم ان المجتمعين اى شى دعاهم الا الاجتماع؟ هل هو استلام الحكم، ام هو الحرص منهم على الرساله- عن طريق استلام الحكم؟
ان يكن الاول، فلقد توصلوا الى الغايه، و لا لزوم الى حوار... و ان يكن الثانى -كما هو الادعاء- فلماذا الخوف من استدعاء رجل سلمه زمام الرساله من حمل الرساله؟
ولكن القضيه لم تكن بحاجه الى حوار، لقد احتاجت الى تصرف. ان اهل السقيفه تصرفوا. اما الحوار، فانه قام فيما بعد. لقد دفعه حوارا ذلك الذى كان من الواجب ان يحسب قطب الحوار .

الوتر المجروح

ما انبلج صبح اشد كلوها من ليل، كهذا الصباح الحزين يعصر ضلوع فاطمه الزهراء على حواشى فراش لصيق بالارض سحى عليه جسد بلا حراك- جسد كانت عيناه- ليضع ساعات خلت -كانهمار النور من الكوى، و كان فمه، كانفتاح الكوى على المناور ...
و كانت تميد الارض بفاطمه و هى تداعب يدين مرخيتين، كانهما استسلام الحب فى غمرته- لا هى ترخيها من بين كفيها، و لا هما- بين كفيها- تتاودان ...
و كان قمها يتنقل بشفتيه لثما و تقبيلا على طول هاتين الذارعين المتلاشيتين، كانها تنقل اليهما من لواجها دفء الحياه و حره الدم .
و كانت نفسها تفيض شعاعا و هى تطوف حول الفراش البارد بعينين مغمضتين على لهب المجامر، لا الدمع يطفئها، و لا بروده الموت ترويبها .
و كانت مناجاتها تطوف سعدا وهبوطا من قلبها الى لسانها و من جانها الى عمق كيانها، كانها الوعى المسعور او الشوق المحرور .
ابتاه- اطعمتنى من قلبك و سقيتني من عينك، لهذا انا اليوم اتصور جوعا اليك و اتقلى ظلما الى عطفك .
ابتاه- يا ايها الهابط الجائم- ما هكذا تجثم الجبال على الشواطى .
ايها الصامت الساكن... ما هكذا تسكن الرياح مع السحب... ابتاه يا اعطف و اكرم اب ما هكذا تنقطع الصلات، و لا هكذا تنبت المكارم .
و ما كانت فاطمه لترتوى، لا باللمس و لا بالهمس- فالاب الذى كان يملا عينها ضياء، اغمض عينيه على هباء- واليد التى كانت تلف خصرها بالحنان- يبست على ملامسها الخماله ...
لهفى على فاطمه، لهفى على الرهيف من حسنها، لهفى على القد النحيل يهصره

الالم- لهفى على الصديقه التى رافقت ابها كما يرافق الظل اغصان الشجر والشذى الناعم النديان غب السوسنه ...
فليكن لك البيت يا فاطمه- فى البقيع- وليكن لك كل يوم، بابيك لقاء- ليس كل اب كايك، و لا كل دمعه كدموعك لها من سكبها
طهر النزيف ...

اسامه

و انت- ايها الفتى البطل- كانت تشوح بك البطوله الى اقتناص الامجاد. لقد كان حظك بالقياده مربوطا بمصير، والجزيره- يا اسامه
[اسامه- هو ابن زيد بن حارثه، و زيد هذا هو الذى تبناه النبى ثم سلمه قياده جيش لغزوه «موته» ثلاثه: هو و جعفر بن ابي
طالب، و عبدالله بن رواحه. ولكنه فشل فى ذلك الحين و قتل و قتل رفيقاه فى القياده ايضا. ثم تولى القياده- فيما بعد- خالد بن
الوليد، فعزا موته و افتتح الشام. و اسامه سلم قياده جيش كان من ضمنه: ابوبكر الصديق و عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن
عوف و ابويعبده بن الجراح و سعد بن ابي وقاص و غيرهم. و امر للتوجه الى البلقاء لمحاربه اهل «ابنى» الذين قتلوا زيد بن حارثه
فى محاولته غزو الشام. و لقد تملل شيوخ الصحابه و طعنوا باسناد القياده البيط فتى يافع. و لقد فى ذلك النبى: «ان تطعنوا فى
امارته فقد كنتم تطعنون فى اماره ابيه من قبل، و ايم الله انه كان لخليقا بالاماره، و ان ابنه لخليق للاماره» ولكن جيش اسامه لم
ينطلق، لقد اخره مرض النبى. ان الصحابييين الذين كانوا فيه عرقلوا هذا الزحف بانتظار ما سيحدث للنبى، و اغلب الظن انهم كانوا
يتوقعون موته- [لم يكن حظها و فيرا فى سلوك المصاعد .
يا ابن زيد، يا ابن بطل خر صريعا فى ساحه النضال- لقد شهدت «موته» بدايه الصراع على يدى ابيك فى جلوه الحق و تكتيس
الحزم من ادران الواليعين، خر صريعا و كان شهيد المحاوله .
و انت يا اسامه، يا شهاده الحق بان البطوله ليست وفقا على عدد السنين، كان حظك -و انت ابن العشرين- يضعك على الخط
الذى يمشى عليه الابطال التاعسون .
لقد مات النبى- و هو يقلدك الوسام- فارتبط حظك البائس بحظ الجزيره الذى وقف على المفرق الخطر .
و مثلما تكتبت عن على- اتقال الخلافه- تنكتت عنك- يا ابن زيد- امجاد القياده .

عتب

من كان يحسب ان فاطمه المفجوعه بابيها لا تجد- بعد موت النبى- لفيغا يتقاسم حزنها و يخفف لوعتها؟ .
عتبا على التاريخ، يتقبل فى فاطمه: كل كلمه مجنحه، كل وصف تتشوق الى مثله مخامل الورد و معاطف النرجس، كل صفه كانها
تيمن الارض بانقى الشمائل... ثم يتقبل جحودا بها، كانها لغفله المنسيه او النواه المرميه ...
يا اهل الجزيره- هذه الديممه هى ارحيه ذلك السحاب، يا تحرق الغبار الى السراب ...

صدمه

كان بالامكان ان تخف لوعه فاطمه على ابيها، اجل على ابيها الذى اعتادت كل عمرها غرف الحنان من حضنه، و لم يكن وجود
على ليخفف من تلك اللوعه، النديتين الصافيتين، ولكن الجفاء الذى قابلها به من حل- فى الحكم و الاداره- محل ابيها، هو الذى
وسع على قلبها عمره الحزن، فالمركز الذى كان يحتله النبى هو نتاج عقله و خياله و نحاته عزمه و جهاده و حرم تغلته و اندغامه و
محراب سجوده و قيامه. و ما كانت فاطمه- فى محرابه -الا صلاه فى ابتهاله فهى شعاع نفسه و بعض فواده .
ان الذى حل محل ابيها فى الحكم و التوجيه، لم يحل محل ابيها بالعطف، حل بالعنف و لم يحل بالتوده، حل كما اراد هو لا كما اراد
ابوها، ذلك كان- يحس فاطمه- كل الاغتصاب .
لقد كان ابوها ابا لها قبل ان يكون ابا لاي سواها- فما بال القوم يفتصبون منها حتى ابها .
و ابوها هو الذى صنع الجزيره، و لقد احبته الحب الدافق لانه- بالحصر- صنع الجزيره. فباى عرف جاحد تزحف الجزيره- اليوم- لتحطيم
حشاشتها و تهشيم ضلوعها ...
و ابوها هو الذى كان رب المنطق و البيان، و باعث الحق و باعث الايمان، و هو الذى قاد، و هو الذى وجه، و هو الذى اخصب، و هو
الذى وزع- فباى بيان تسد عليه سبل المنطق:؟ و باى حق يحجب من بعده الراى السديد؟ .
و لم يكن النبى ليخلف- الا كله، ليخلف: فى ما قال و فى ما عمل فى ما اخذ و فى ما بذل، و فى ما وهب و فى ما اوصى و فى
ما احتسب، و فى كرهه و فى حبه و فى نهيه و فى رغبه .
فاى شىء هذه الخلافه منقوصه ميتوره، مفتوله مشطوره؟ ما طعم الغيره عليها و فيها الاثره؟ ما قيمه الشان لها ظاهره الصدق و
باطنه الحيله؟ لقد ضاق النبى فيها و فيها قصر، و هو الطويل النجاد و الواسع العياب... اهى خلافه لنبى، ام هى تظهير للون؟
وسع الحرص فيها حتى ضاق، و ضاق العدل فيها حتى انفرط، و كان الحرص فى النبى فيضا و توزيعا، و كان العدل عند النبى رحمه
و توسيعا .
كل هذه الافكار كانت تدور فى راس فاطمه الحزينه، و قد اقحمت الخلافه على ابي الصديق، بكل ما فى الامر من نقض وصيه ابيها
الموصى. و فدك- نحلها ابيها اليها- قد قطعت عنها كما تقطع يد السارق .

بلاغه

اي شىء نغر بفاطمه الى ساحه المسجد؟
من قال:- ان البطولات وقف على الرجال؟
من قال:- ان النفوس الكبيره تعيش بغير شموخ؟
من قال:- ان الشعور بالحق يرضى بالمهانه؟
كل ذلك وجد تطبيقه فى الزهراء و هى تمشى- متلفعه بوشاحها الاسود- نحو باحه المسجد، بقدر نحيل جارت عليه مبراه الالم ...
اي الم؟... و هل للمفجوع غير التاسى؟ ...
ولكن فاطمه الزهراء ما جاءت تقول للناس: عزونى... بل جاءت الى الخليفه لتريه لون الشعاع فى الشمس، و لتسمعه نبره الناي
فى خفق العواصف ...
لقد قالت له المعنى الكثير، ولكن البليغ الذى سمعه هو الذى كان مسحوقا بصمت، و الذى جاء ملفوفا بوشاح ...

دمعه

لا على، و لا فاطمه، كانا مقتنعين بنجاحهما باسترجاع فدك، و لم يكن تصرف فاطمه بالاقدام و المطالبه- اكان ذلك فى باحه
المسجد على ملا من المسلمين، ام كان فى مراجعات اخرى فى بيت الخليفه، ام فى بيوت الانصار، ام فى ايه من المناسبات
العارضة- عن اقتناع بان حقوقها بالارث ستعود اليها .
و لم يكن ذلك ايضا، دليلة على تفتيش البيت عن مورد يومن له الثروه و الترفيه، فاليبت هذا الف القناعه فى العيش: ان جهاز
فاطمه لم تكن قيمته اكثر من قيمه درع، و لم يكن زواج فاطمه بعلى الا ليكون- فى معناه ومجتناه- متانه درع .

لقد قنعت ابنه الرسول، فى يوم عرسها، بثوبين من الصوف بقطيفه و خمار، فقتعت بفراش من خيش محشو بليف، وقتعت بقدر واحد و جره خضراء، و رعى لجرش حياى الشعير تديرها بكفها الهزيله، و لم تطمع باكثر من قعب للبن، وشن للماء، و قطعه حصير... هذه هى الدرع- درع على التى حملها على الى السوق بنفسه و باعها باربعمايه درهم ليصرفها جهازا لعروسه .
«هذه هى حقيقه البيت الذى يطالب بفدك، يطالب بها، لا ليزيد لنفسه ثروه، بل ليزيد من مئانه الاسلام، ليزيد من اعمال البر و تفريق الحسنات على كل هولاء الذين يعيشون فى الجزيره على مجاعات و اشدها مجاعه الفكر و مجاعه الروح .»
لذلك هبت فاطمه تطالب بالارث، لا لتحصل على الارث، بل لترهف حسا جماعيا لايزال يهجع فى الذل و يرضى بالاستكانه، لتظهر للحاكم: انه لن يتمكن من القيادة و فى عينيه دكنه من ظلم و مشحه من اغتصاب، لتظهر له ان فدكا و كل شبيهه بفدك، شوكة فى عين الخلافه- و كل خلافه- الى ان تنزع .

ان الم فاطمه، لم يكن مصدره موت ابيها- اكثر مما كان مصدره ان رساله ابيها، ما ان عاشت حتى دخلت فى حشرجه. لم تكن فاطمه تحب فى ابيها زنده المفتول و صدره البيض، لقد كان حياها له فى صفوه العقل و انبعاث الروح، لقد احبته فى افق... و لما مات، كانت تدرك ان لكل انسان نهايه، و ان فى رساله ابيها تكون البدايه . و ها هى الرساله، اخذوها للاستعمال و لم ياخذوها للاكتمال، اخذوها اذاه و لم ياخذوها صفوه اناه .
ان الذين يغتصبون خلافه، ليس كثيرا عليهم ان يختلسوا قطعه ارض، و ان الذين يعيشون فى رهاقه الحس- كفاطمه و على- ليس كثيرا عليهم ان يظنهم التبرم و الالم، و هم يشاهدون باعينهم مشاهد الماساه .
و لقد برزت فاطمه الى الساحه تمثل دورها الناعم، فكانت كشعاع الشمس- دافىء، ولكنه حارق، و كانت كجد السيف- رهيف ولكنه قاطع .

و لقد ادرك ابوبكر الصديق عمق القضييه فىكى، و لم يكن بكاوه عاطفه هيجتها فيه فاطمه بثكلها او يتمها، او اثرت عليها انوته فيها مكسره الهدب او ذابله الوجنتين لقد بكى من هزه فى نفسه، و من شعور فى ضمنه، ازاء و جفه من ضمير، و ومضه من وجدان .
لقد كان يعرف ان الخلافه ما وصلت اليه مفتوحه على كف من السماح فلقد كان ينقصها كثير من الصراحه مع كثير من انبساط الخواطر لقد كان ينقصها الاجماع .

لقد نقصها الحس الصادق و الشعور البرىء و العين الرضيه، و ليس قليلا هذا الذى نقصها، فالحاكم هو الصدر مشتبهه كل ضلوعه ان ضلعا منه مسورا، يشغل القلب و يضنى النفس، و الحاكم هو لكل قبل ان يكون لنفسه، و هو عقل و قلب و قلب و عقل، و هو كل النظاره- ان النظاره يجب ان تكون كل اطاره- لهذا يحمل بالحاكم الاول ان يستقطب اليه الحس الجماعى، حتى ياتى دوره فى الحكم تلبيه لاحترام كامل يضمن له صدق العمل و صحه المسير .
و مركز ابي بكر الصديق فى الخلافه كان فى هذا الانتخاب محصورا فى سقيفه، و كان الاولى به ان يكون فى الساحه التى ليس فوقها لا جذوع و لا سقوف .
ان الخلافه- بمعناها الصادق- لا تتمكن من التلقظ بكل ازمتهما، الا فى الساحه المكشوفه- هنالك يتمكن الجميع من تسريح النظر، فتمتلا هو للكل، عليه ان يعرض نفسه امام الكل ان حكمه الحاكمين لا تتجلى فى المخابى، و ما ينشأ فى المخابى تمتنهه المكاشف .

لقد كانت الوصيه بالخلافه لعلي، لقد جاهر على بذلك، و لقد كان الاولى ان يعرض على على الساحه لتقول الساحه كلمه الفصل، اذ عليها هى ان تحقق فى صدق الوصيه للعمل بها او لنقصها، و لم يكن ذلك مطلقا من اختصاص السقيفه .
طلب العباس و ابوسفيان الى على ان يبايعاه و هو ما زال الى جوار جثمان النبى، فاجاب: «انى لاكره ان ابايع من وراء رتاج .»
فى هذا الاتجاه المنفوض شفت خلافه ابي بكر الصديق دربها، تاركة وراءها اتجاها آخر يثنق عليه الانقسام دربا موديا الى جيهه خصام .
ان احتجاج فاطمه عن سلبها الارث كان بالفعل تنبيها لاصلاح زل، حرك دمهعه فى عين الصديق، ليتها لم تنشف ...

ثلاث نساء

يتناول الحديث ثلاث نساء كان لهن على الاسلام شان بالغ، و لقد اثبت الاسلام فيهن فضله فى انتشار المراه من مركز المهانه الى مركز الاجلال و الاحترام .
و لقد برهنت كل واحده منهن عن ان المراه تستجيب للجو الذى تنشأ فيه، و تعكس فيها التربيه التى تتربى عليها، و تتمكن من ان تسمو مع السمو- كل ذلك بنسبه تتجانس مع قواها التى محضتها بها الطبيعه كامراه لها كيان خاص بها و مواهب ذاتيه منبثقه من تركيبها الخاص .

خديجه

اولا هن خديجه ام المومنين الاولى- تلك التى كانت لها قافله سئمت حدودها فاذايتها فى قافله اخرى لف صوت حاديتها جنياى الكون .
و التاريخ يعلم ان خديجه لم يكن لها شان كبير قيل ان تجد على طريقها الامين محمدا، و لقد ورد فى سياق هذا الكتاب كيف ان خديجه تخطت التقاليد و اقدمت على تزويج نفسها ممن احبت .
غير ان المقصود فى هذا البحث هو اظهار الناحيه التى تختص بالمراه فى اتاحه الفرص لتربيتها و تنشئتها التنشئه الصحيحه، ثم تركها تختار من نفسها تخطيط مصيرها، فهى -اذ تشعر بمركزها المحترم و بارادتها المعتمده- تضع نفسها فى الخط البناء، لمشاركه الرجل فى الاعمال، و لتحمل المسئوليه التى تلقىها عليها طبيعه وجودها .
و لقد وضعت خديجه نفسها على مثل هذا الخط، و لم يكن الفصل فى ذلك المألوف التربيه فى محيطها، ولكن الظروف اتاحت لها ما حقق شخصيتها و ابرز مواهبها .
احبت، و هى فى سن الاربعين، حبا اوجاه العقل- فهو حب معبر عن حقيقته، و الامين محمد- فضلا عن كونه نسيج وحده- هو ايضا فى سن الرشده و الاختمار- قدر قيمه هذا الحب فلم يتاخر عن الاستجاب له .
زواج قوبل من الطرفين بذات الشعور، بذات التقدير، بذات الاحترام، و جعل من الاثنين لحمه متفاهمه متكامله متلاحمه متفاعله، لم ينغصها يوما اى خلاف .
و لقد خدم هذا الرباط حتى مد القدر يده فاخطف السيده الكبيره الى العالم الاوسع .
ان خمسا و عشرين سنه كانت مليئه بالحب و التفانى، و لقد ذابت خديجه فى حبا و اخذت من زوجها كل ما اعطاها، و اعطته كل ما اخذ منها، لقد كان الاخذ و العطاء بنسبه واحده بدون اى شعور من الطرفين بان الاخذ هو غير العطاء او ان العطاء هو غير الاخذ .

اعطت خديجه زوجها حبا، و هى لا تشعر بانها تعطى، بل تاخذ منه حبا فيه كل السعاده، و اعطته ثروه و هى لا تشعر بانها تعطى، بل تاخذ منه هدايه تفوق كنوز الارض- و هو بدوره اعطاها حبا و تقديرا رفعاها الى اعلى مرتبه و هو لا يشعر بانها اعطاها بل يقول: «ما قام الاسلام الا بسيف على و بثروه خديجه» و اعطاها عمره و زهره شبابه، و لم يبذل عليها امراه حتى غابت عن الوجود و هو لا يشعر بانها اعطاها، و هو يقول: «لا و الله ما ابدلنى الله خيرا منها، امنت بى اذ كذبتى الناس، و واستنى بمالها اذ حرمنى الناس .»

ان فى مثل هذا الحب- صادقا صافيا- تجد المراه نفسها سيده نفسها، سيده بيتها، سيده مصيرها، و يمثل هذا الحب يجد الرجل جوه رحبا فسيحا و كاملا جميلا .
ان التربيه و حسن التنشئه و افساح المجال للاختيار كفيله جميعها بانشاء البيت السعيد لمجتمع ايجابى صحيح .

فاطمه

و نجد فى فاطمه الزهراء مثلا تطبيقيا آخر على كون المراه هى استجابته لتلك التربية الممتازة وولاده و تنشئه، عملا و ايجابا .
لقد رببت فاطمه فى حضان ام كان الحنان يذوب من اردانها و حنان الام ما فاض من قلب ام الا بمقدار ما تفيض عليها فى البيت السعاده- و لن تقاس السعاده فى بيوت المتزوجين الا بميزان واحد هو ميزان الحب فى تفاهم و تبادل و انسجام. فالبيت- بكل ما فيه- وحده حياته دون تمييز او مفاضله، دون محاسبه على اخذ اكثر او عطاء اقل، ثم اجراء مناقصه او مزايده- كل ذلك بعفويه يشملها العفله و النسيان، و يعطف بفرضه العقل السليم نظافه و صدق شعور، و تلبيه و تنزيه ميول .
لقد وجدت فاطمه فى بيتها كل هذا عمرا موفورا، وجدته، حتى من قبل ان تنزل تكويننا فى بطن امها، لقد مهد لها هذا الجو و امها لا تزال بعد تداعب طيف الحب فى قلبها و محمد غائب بالقافله بين مكه و الشام، وجدته و هى جنين فى الحشا، تتلمس امها بها خاضعتها مع اللبالي الطوال بمناجاه كانها عذوبه الاحلام، وجدته مع اول شعاع ابصرته بعينها بعد هبوطها الى الحضان الرقيق، وجدته مع قطره الرضاع حامله كل اشواق الامومه- وجدته فى طفوله بريئه قفزا من حضان الى حضان و من عنق الى زند، بين ام حانية ذاتيه و اب وادع حالم، و اخوات ناعمات راغداد، و رفيق تطوف فى عينيه لمعه سيف، وجدته فى فتوتها تنفتح على اسرار الحياه فهما و تيسير فهم، و حسا و ترهيف حس، و شموخا و تعزيز شموخ .
لقد تولد لفاطمه- فى هذا الجو الرايع- راي شخصى حر، هو كل ما امنه لها مناخ البيت- لقد كان يسال النبى فى قضيه فيجيب:
«لناخذ اولاً راي فاطمه»- . هكذا كان لفاطمه راي فى تربيته صحيحه، كانت لشخصيتها فيها تلك التنميه .
و لم تخب التربية، فيمقدار ما توفرت اجابت:- توفرت غزيره و اجابت بغزاره- هكذا تزوجت فاطمه- رجوعا الى رايها، و اقتناعا منها بصدق الرجل الذى تزوجته. لم تكن تجيب- كما افصحت عن نظرتها ذات مره لابيها- «ان ترى رجلا»- رايها بان المراه- اذ تعتبر سلعه و تحقيق شهوه للرجل، تتدنى مرتبتها فى الحياه و تنحط، فى الوقت التى هى فيه نصف الحياه فى جد الحياه، نصف البيت فى تكوين البيت، نصف المجتمع فى تدعيم المجتمع، نصف السعاده فى استقطاب و استكمال السعاده. و ميول الرجل و ميول المراه هى من معدن واحد، تاخذ منه الحياه مزيج عصارتها و طبيخه قدرها، فلا يجوز ان يفسد شطر من المزيجين بامتهان او بتقليل قيمه .
هكذا تنشأ الاسره الفاضله، و هكذا ينمو المجتمع الفاضل- نظره صحيحه و تطبيقا صحيحا، و انتاجا صحيحا، و نتيجته صحيحه .
و كان لفاطمه البيت الصحيح، البيت الذى تركز على نظره صحيحه و لقد وجد على فى فاطمه تكميل حياته، فاطمان و راح يعمل من وحى هذه الطمانيه، باندغام استجابته قبل ان يتم تأليف البيت، لولا ذلك الاقتناع الموحى من قبل لما تمت بينه و بين فاطمه هذه الوحده التى لم يفرطها الا الموت .

عائشه

و لن يكون الحديث فى عائشه- فى المومنين الثانيه- الا ليجد فيه تطبيقا للنظرة الاجماعيه التى ترى فى التربية هذه النسيه فى الانعكاس .
و ما كان الزواج الباكر لعائشه من النبى الا ليكون زواجا ذا لون. ان ربط الاواصر بالزواج كان مالوفا، لا سيما فى ذلك العهد الموصول بالجاهليه، و المتلطف بالتقاليد القاسيه الناشفه، و المضغوط بروح قلبيه مفروضه .
ثم ان القربى من النبى اصيحت- بعد انتصاراته الباهره- مطمع هولاء الاسياد، ليجدوا فيها بعض التغطيه عن زعاماتهم المهدهه بالتلاشى، فاستعاضوا عنها باذابتها فى زعامه ثانيه هى اليوم زعامه فيها من اللمعان ما يبهر، و كانت القربى من الرسول برباط الزبيجه من اجل هذه المظاهر .
و لقد لبي الرسول- قدر المستطاع- ميل التقرب مطلوبوا اليه فى سبيل توحيد الجزيره و رفع جانبها، و ما كان قبوله بعائشه- رغمًا عن حدائه سنها- الا تطهيرًا لهذا اللون السياسى، مضميا عليه عطف القلب الذى افلتت منه خديجه الى الابد .
تلك كانت رغبه ابي بكر الصديق فى تزويج ابنته من الرسول فاحتملت الى العيش الزوجى مع لعبها و ملاهى طفولتها، انه زواج من غير النوع الذى تم به زواج خديجه... و هو -بكل جلاء- من غير النوع الذى تم به زواج فاطمه .
هنالك حب خبر نفسه، و عين دربه، و امتلا بحريته، فكان زواجا معبرا تمام التعبير عن خطه و هدفه، ليتحمل- عن رضى كامل- كل مسؤولياته غير منقوصه .
اما زواج عائشه، فلقد كان- من جهه عائشه- محتاجا الى عنصر التلبيه الفاهمه المقتنعه، فانها لم تكن فى عمر يمكنها من فهم ما تقدم عليه، ان هذا التفهم من ابيها لا يمكن ان ينتقل اليها بذات الحس و ذات المعنى، انه زواج بين رجل و امرأه لا بين رجل و رجل، و ليس عمر التسع ليفعم بهذا الشعور الناضج- لا
من جهه التفتح الجنسى، ولا من جهه التوسع العقلى- ان هذا التعويض عما يلزم ان يكون، لم تتوصل اليه عائشه الا فيما بعد، عندما تم لها البلوغ. و لم يكن لها ذلك الا فى التدرج، بحيث انها لم تتمكن من المشاركه الطويله بهذا التمرس لا يعطف النبى و لا يفهم المعانى التى كانت تشع منه، لهذا كان الفرق بعيدا بين تحسسها بالقضيه و تحسس خديجه بها- من جهه- و تحسس فاطمه بها من جهه ثانيه .
ان قضيه الرسول كانت قضيه خديجه، و كذلك كانت قضيه فاطمه، و بقدر يتناسب مع قوى كل من المرأتين، باعتبارهما امرأتين. اما عائشه فانه- بحكم الطبع- كانت مشاركتها فى القضيه مشاركه جانبيه، ازال قوه و اخف خطا، و لهذه الاسباب عينها .
و لما مات الرسول، لم يظهر على عائشه الا اللون الاصيل الذى قيده به الى بيت الرسول: هو عينه اللون السياسى الذى تلونت به الخلافه باسنادها الى ابي بكر الصديق، هو عينه الذى جعل عائشه- ابنه الصديق- تركب الجمل لتقود- من على ظهره- جيبه المعارضه ضد الامام على. ان معركة الجمل شهيره فى التاريخ .
ان هذا الاستعراض الخاطف لموقف هولاء السيدات الجليلات الثلاث يوضح موقف المراه فى مشاركتها الرجل فى ميادين جهاده، و كيف انها تكون دائما لونه و انعكاس روحه -بالقدر الذى يتوفر لها .
يجدر بالمجتمعات العربيه ان لا تنظر الى المراه الا من هذه الزاويه الناعمه، مسنده اليها دورا خطيرا فى البناء الجدى. فالمراه- قيل ان تكون اداه ترفيه و تسليه- هى شطر الوجود الانسانى، و هى حرمتها التى لا يجوز ان يلعب بها لعبه الهزل. ان مشاهد الهزل تخرج الماسى ...

خطاب فى باحه المسجد

هل كانت المطالبه بفدك، غير المطالبه بالخلافه للامام على؟ و هل ان اقتطاع (فدك) (من يد فاطمه هو غير قطع المدد عن المطالبين بالخلافه؟ .
و لقد كانت تعلم فاطمه تمام العلم ان المطالبه بفدك لن تعيد اليها الارض، و لم تكن لتطلب ارضا فيها نخيل، انها كانت تطالب بآرث آخر، فيه عزه النفس، فيه اصاله الحق، فيه عنفوان الرساله، فيه امتداد ابيها... هذا هو الارث الذى جاءت تتادى به فى ساحه المسجد .
و سيات، اكانت المطالبه بخراب مدروس ام بخراب مرتجل. (ام- حتى- بخراب لحمه التنقيح او الاقحام- كما ربما يطيب القول للادعاء .)...
يكفى ان تقود فاطمه قدميها الى باحه المسجد، ان تقف امام الخليفه بجبهه و خمار، ان ترمى اليه نظره شذراء. ان تحرك يدا بمعصم نخيل- ان تومى- ان تقف لحظه، ثم تتسحب كما ينسحب الظل .

و لقد فعلت- ان التاريخ يشهد انها فعلت- ان صوتها، و هى تلقى خطابها، لم يسمعه الا نفر قليل، ان ما سمع من خطابها ليس كلامها المنطوق- فحسب- ان ما دونه التاريخ من ذلك الخطاب، هو المعنى- هو الفكر- هو التمرد على كل ما هو ظلم و جور... لقد شرحت فى الخطاب رساله ايها- لا لتشرح الرساله- بل لتعين مركزها من الرساله- مركز على منها- و لقد طالبت بالارث، مثبتة ان لها حقا يه كما لكل البنين من وراء آباؤهم، و لقد نددت بالحاكم قالت له: انه مغتصب، و لقد نددت ايضا بالمهاجرين: الصحابيين و الانصار، لقد انفجرت نغمتها على كل هؤلاء الذين هم اشباه الرجال فى تخلفهم من رويه الحق و نصرته، و لقد عمزت- يتبنواتها- بما ينتظر الظالمين الكافرين ...

هل جاء الخطاب عميقا؟ ليس العمق على فاطمه بكثير- فهى اول من تلقن القرآن سمعا و فهما، و اول من رشف اباها حسا و شوقا، و هل جاء الخطاب متينا بليغا؟ و لا بدع- فهى زوجه ذلك الذى كان رب البلاغه و البيان: لعبت معه طفله، و رافقته فتاه، و شاركتة الحياه فكرا و ميولا، و اندغمت به زوجه و اخلاصا، و انجبت له البنين عفه و طهرا... هل جاء الخطاب قويا عنيفا؟- لا غرابه فى ذلك، ان التى تخطب هى ابنه المع جبين شهدته الجزيره فى تاريخها، و هى زوجه اعز بطل رفع الاسلام بسيفه و بيانه، و هى ام اشرف بزغتين فى تاريخ الامامه .

ان لم تكن فاطمه الزهراء هى التى نطقت بخطابها الشامخ امام الخليفه- فمن هو الذى يكون اولى به منها؟ و من هو الذى يكون احرى منها بتقص الشموخ حسا و تعبيرا؟ .

غير ان المتتبع تاريخ الزهراء عميق، لا يهيمه- لا بكثير او قليل- ان يلهى نفسه بتحقيق حول ما هو تافه... ان الكلمه ليست غير قابل تعبير عن فكر او اداه تلميح عن روح، و لم تكن الكلمه- فى تاريخ تدوين الكلام- لتصلح قالبا مكتمل الجهاز للمحه واحده من لمحات الفكر او لخليجه واحده من خلجات الروح، ان الكلمه او هى بكثير و كثير من ان تضبط لون الخيال ضاربا فى آفاق غير محدوده... لو ان للكلمه هذا القالب الموسوع، لكفى بالقرآن آيات تتخلص من كل ما هو تفسير و شرح او تاويل و اجتهاد... ان خطاب فاطمه- بكلماته القليله- لم يكن، على كل حال، كثيرا عليها... بل ان العكس يفرض: فهو- بالنسبه- قليل وضئيل اكان تعبيرا عن المها بفقدان ايها، ام كان احتجاجا عن حرمانها من ارثها .

ان العظيم منه و الجليل- هو الذى كان يتوارى خلف الحروف- هو الشموخ الذى لا يمكن للحرف ان يتلفظ به، هو عزه النفس، هو الشعور بالكبر، هو تلك الانفه التى منها تصاغ رفعه الجبين .

البطوله

اى فرق كان بين البطوله التى تجلى بها على بن ابي طالب فى دفاعه عن الرساله و بين البطوله التى تجلت بها فاطمه فى دفاعها عن الحق امام الخليفه .

لعمري، انها بطوله من معدن واحد، الفرق فى ان عليا كان بمكنته ان يعبر عن هذه البطوله بسلاحين فى وقت واحد: العقل و الحسام، ان الحسام ما كان لفاطمه التحليه .

تلك من نعم الصدف ان تراقف المنطق قوه البدن، ولكن قوه الساعد تكون هباء عندما تخبو شعله العقل، و تكون و بالا عندما تنعدم جوده المنطق .

و كل قوه فى البدن- مهما يبلغ شاوها- ليست لها قيمه فى الحساب الا بين الكسور . اما القيمه العقلية فتلك التى تعمل من ورائها كما تعمل القيادة الحكيمه من خلف الحصون، فالعقل هو الذى يعين الاهداف و يجلوها امام قوه التنفيذ و التحقيق، ان القوه- بين يدى العقل- تحصل على ايجابيتها، و تنقلب ضعفا و هوانا فى غير ساحه المنطق .

و لما كان على بن ابي طالب متين الساعد، لو ان العقل كان يهرب منه، و لما كانت -لايه آبه من آيات القرآن الشريف- سطوه الانطلاق و الانفتاح- لو انها ما تسلحت بنور المعرفه و بهاء الحق .

تلك حقيقه، قل من لا يعرفها كتحديد علمي- فلسفى، مالوف و معروف، و قل من يحترمها فى نهجه التطبيقى . و اشد من يكون بحاجة الى هذا الفهم و التطبيق هى الطبقة الحاكمه، فهى تتحصن بالقوه لتبطين، و لا يجوز ان تتحصن بها الا لتعدل. و ذلك هو الضياع فى التحديد بين قوه السلطات تستمد حقيقتها من الحق، و قوه السلطات تستمد نفوذها من هيبه المقعد -فالقوه الاولى هى التى تنبعث خلف هذه الهاله، حتى اذا شعر بضياعها ضاعت من المقعد المسحور تلك المهابه و ذابت عنها رغو البهارج .

و ليس قليلا ما تعنى الحكمة: «العدل اساس الملك» و لسيت اظن ان دوله تفهم هذه الحكمة و يطالها الا نقرض . ان تطبيق العدالة فى مجتمع ما، يشغل كل قوه فى ذلك المتمتع فى وجهتها الايجابيه لتكون قوه فاعله فى الحقل الواعى، و هنا تكون للقوه قيمتها المنتجه .

و لن تكون العدالة على حقل دون حقل فهى تطال المجتمع فى كل طاقاته- تطاله فى كل نواحي الحياه- فى الماده و فى الروح، فى الماده عداله اقتصاديه و فى الروح توجيهها فكريا اخلاقيا .

هذه هى العدالة الكامله التى، اظن انها- اذ تنهج فى دوله ما- تصون ذلك المجتمع من صروف الحداث . و لن يطلب فى ذلك الكمال- فجمهوريه افلاطون ظلت خيالا و لم يتحقق المجتمع الافلاطونى الا على الخريطه التى خطتها قلم ذلك الفيلسوف .

و ليس ذلك يعنى ان المجتمعات البشريه ليست بحاجة الى المبالغه فى التوجيه و الى القساوه فى التطبيق . لقد كانت النطاقه فى الحكم رفيقه النجاح لكل هؤلاء القاده الذين تنظفوا بالحق و تقيموا بالعداله- قد يكون ان سقطوا فى الساحه ضحايا مبادئهم- و من على الارض لا ينحل ترابا؟- ولكنهم، بقوه ذلك الاشعاع تمكنوا من الخلود. ان نطاقه الخيال فى افلاطون هى التى لا يزال خالدا بها حتى الساعه. ان خلود عيسى و محمد، مدين لتلك العبقريه المتطلبه بمعدن الحق. ان السلسله الطويله التى تستحكم حلقاتها بكل هؤلاء العظام الذين مروا على سطح هذه الغبراء- تشهد لكل منهم بمقدار ما حمل ما اشعاعات السمو. ان الخلفاء الذين تداولوا على مقدرات الخلافه فى الاسلام، يحمل كل منهم شهاده لا يزال يسجلها له التاريخ، تعلق قيمتها و تهبط بنسبه تمسك صاحبها بالحق او تنكبه عن صفات العادلين .

لو ان الخلفاء فى الاسلام مشوا على النهج المرسوم نطاقه و حقا و نقى و عداله- فاعلم الظن انهم ما كانوا توصلوا الى ايه خيبه من خيبتهم الكثيره .

هل تتمكن المجتمعات الانسانيه من تطبيق كل ذلك؟. ان هذا منوط بها، ولكن القول بان السير فى المجتمعات البشريه على اساس من هذا السمو، هو الذى يتطلبه العقل فى المجتمعات الراقية لتحقيق كل الاهداف العظيمه. و اشد تلك المجتمعات رقا هى ابغها رسوخا فى تحقيق هذه المثل .

تلك هى العدالة التى ينشر بها الامام على، مشيا على صراط مستقيم، هديا من رساله بشرت بالحق و العدل و المساواه .

هكذا يتم الابتعاد عن الخطا- باتباع نهج يرسمه العقل و المنطق و تلك هى القوه تتسم بمعناها البطولى .

ان البطش و سفك الدماء ليسا غير تعبير عن قوه سلبيه هى الوهم عينه، هى تهديم نفسها بتهديمها المجتمع .

لقد كتب الامام على الى (الاشتر) لما ولاه على مصر بعد محمد ابن ابي بكر :

«اياك و الدماء و سفكها بغير حلها، فانه ليس شئ ادعى لنقمه و لا اعظم لتبعه و لا احرى بزوال نعمه و انقطاع مده من سفك الدماء بغير حلها، فلا تقوين سلطانتك بسفك دم حرام، فان ذلك مما يضعفه، بل يزيله و ينقله .»

ان البطوله ليست قوه تستند على بدن و ساعد، و لا على كرسى و سلطان، ان البطوله هى التى تتمنطق بالعقل فهما و رشدا فتعين الاهداف و ترسم المناهج .

و ما كانت بطوله الزهراء من غير هذا المعنى الجليل، عرفت منه ما لمعت به عينها دون ان يوتر عليها لا زندها النحيل و لا خصرها الهزيل .

التسجيل

لم تكن- على عهد فاطمه- ايه لا قطه «صوتيه» تسجل الكلمه التى تفوهت بها امام ابى بكر الصديق، و كذلك لم تكن هناك ايه لاقطه «نووويه» تعكس عنها الاشاره التى كانت تندر عنها، و هى تلقى ذلك الخطاب، حتى و لم تكن- ايضا- تلك اللواقط من الحروف الطائعه تتساق متلقطه بالفكر تضبطه فى اطارها و تلمسك به ضمن خطوطها و دوائرها، ليحصل ضبط ذلك الخطاب فى امانه الحروف .

لم يتم، لا تسجيل الصوت و لا تسجيل الصورة- لا صوت فاطمه بكلماته المتقطعه و نبراته المتدفقه، و لا صورتها بعينها الحزبنيه و قدما الناحل- و لم يتم ايضا لا تسجيل الاثر الذى تركته على جمهور ساحه المسجد و لا تسجيل لون اذن ابى بكر الصديق بعد سماعها خفقه التنديد .

بالرغم عن عدم وجود اى شى من هذا- تمت كل التسجيلات، كان آله العصر الحاضر كانت فى ذلك الحين هى ذاتها تفعل... و متى كانت الاله- فى تنفيذ اختراعها- غير تعبير عن شوق الانسان فى حاجته اليها؟ ان هذا الشوق هو ذاته الذى كان منفتح القلب و العين و الاذن امام فاطمه فى وجودها فى ذلك الحين، و فى كل وجودها. لذلك انسكبت فى وجدان التاريخ تسجيلا حفظته واعيه الخواطر، و تلقطت به حافظه القلوب، و تناقلته اشواق الاسانيد: تعبيرا عن ان الراى العام فى مجتمع الانسان هو تحقيقه المائله فى مكشوفها و مستورها على السواء .

لم تكن فاطمه- وحدها- التى تتكلم فى ذلك الحين، ان الملايين فى الجزيره العربيه كانوا يتكلمون، و لم يصل الينا سوى النزر من التسجيلات عنهم- الا ان فاطمه وحدها كانت تتكلم؟

تلك شهاده على ان الراى العام يتمثل- دائما فى خطوطه العريضه كما تتمثل قطرات الغيث فى المجارى الزاخره، و كما تتمثل الانهار الجارفه، فى التحامها بالشواطى .

ان الذين تكلموا فى الجزيره قد تم لنا تسجيل ما قالوا، وصل الينا كل الصحيح مما قالوا- لم يكذب الراى العام فيهم، فلقد صوره و عكسوه و لقد اوصلوه مع العبر .

ان اللون السياسى الذى انصبغ به الخطان العريضان فى ذلك الحين، عين فى كل واحد منهما اسم القائد- عين الشكل، و عين الفكر و عين الاتجاه... و لقد عين ايضا صفات الارث .

ولكن الارث الوحيد الذى ضاعوا عنه هو وحده الذى كان كفيلا لهم بتحقيق الثروه -نفروا عنه اذ كان الاولى ان ينفروا اليه- ان هذا الارث كان محصورا- بالنسبه الى الجزيره على الاقل- فى تلك الوجده المنوره بالحق و الهدايه، و لقد قالت فاطمه فى خطابها: «افان مات (محمد) او قتل انقلبتم على اعقابكم»؟ .

ان فى الانقلاب على الاعقاب رجعه الى ماضى الجزيره فى تفككها و تشتيتها- فى عدم لحمتها و فى عدم تحقيقها- لقد وحدتها الكلمه الصائبه، لقد جمعتها الفكره الكبيره، لقد رسمت لها الاهداف لقد طبقت امامها المثل، لقد تحقق لها البرهان، و لقد دفعت ثمن ذلك من دمها... فما بالها- و قد مات نبيا العظيم- تنقلب على اعقابها؟

هكذا تكرس الانقسام مع اول خلافه برزت الى الصداره، ليبتز اول وحده لمحها تاريخ الجزيره .
اى شى، فيما بعد، تمكن من اعاده اللحمة؟ اى عهد من العهود التى كرت، حتى الساعه الحانيه، عبر اربعه عشر قرنا- عمل على الترميم، و ساعد على محو ما علق فى الخواطر؟ ايه يد حاولت ان تتناول شرايط التسجيل التاريخى لتجور بثه او لتغير الوان مرانيه؟

و اى مجتمع من مجتمعات الاسره العربيه- ابتداء من الجزيره الام- ام الهجرات التاريخيه، و ام القوافل الدارجة الى كل هذه المهابط اللاقطه حدو

القوافل- اللاقطه و الحاضنه و المطوره. اجل، اى مجتمع لم تتعكر مجاريه من ثقل ذلك الغبار الذى ثار حاملا معه كل هذا الكثيف من السموم و العفن؟ ...

و لا تزال الاجيال حتى اليوم تتلهى بغربله خطاب فاهت به فاطمه الزهراء: فى هل ان كلماته خرجت بالفعل من بين ثناياها، ام ان عبقريا آخر نخلته عبقريته اليها؟ ...

و فاطمه الزهراء كانت لونا بارزا فى الخط الثانى- كانت نصف الرجل الذى حمل رايه الخط، فهى معه وحده فى العمل و فى النهج .
ان الماساه فى درس الخطاب من ناحيه حروفه و ليس من ناحيه معانيه، كالماساه عينها فى ان نحصى خطواتنا على طريق مقفل يمتص اعرافنا دون ان يردها الينا قيمه ...

ان العبره فى تفسيره ما قالت الزهراء تكمن فى تحصيل قولها انذارا- و العبره فى ان الخلافه لم تقبل الانذار -
و العبره كل العبره- فى ان الاجيال احيال الاسلام- لم تدرس حتى اليوم خطاب الزهراء، و هى ضائع بين ان تسنده الى فاطمه او ان تسنده الى مقحم، طباق آخر على كل ما وجه الى الامام على فى نهج البلاغه: اسنادا اليه ام اقحاما عليه .

و العبره فى ان خطاب فاطمه الزهراء- اكانت هى تدرى ام لم تكن تدرى- جاء برزم قوه التعبير عن ذلك الراى العام الذى احتاج- و هو برضخ للواقع- ليعود فيتكون ثوره على كل ما هو خروج عن خطوط الحق و العداله .
منذ ذلك الحين تكونت نواه المعارضه مطالبه بتركيز الخلافه على محورها الصادق - و منذ ذلك الحين و الخلافه لا ترتبط بمصير حتى تتقطع حيال ذيك المصير .

و منذ ذلك الحين و السيف العربى لا يرتوى من دماء ابنائه- و معظم الخلفاء
لا يرتوون من شرب الدم، صرفا، ام ممزوجا بالخمر و الفجور-، اكان ذلك مع الحجاج ام مع السفاح، اكان مع الوليد ام الامين بن الرشيد .

و منذ ذلك الحين و الخلافه تدور بها العواصف و الزعازع من مكه الى يثرب، و من يثرب الى الكوفه- الى الشام- الى بغداد- الى خراسان- الى مصر- الى القيروان- الى الاندلس- الى بلاد الاتراك... و من تفسيح الى تفسيح من الراشدين الى الامويين، فالعباسيين، و الفاطميين، و الايوبيين، و المماليك، و المغول، و الحشاشين .

قد تكون فى القول- هذا- كل القساوه فى تحميل الخلافه الاولى هذا الحبل الطويل من المسؤوليات الجسام، ولكن- اى طريق طويل لا يقاس بالخطوه الاولى؟ و ايه دوله من دول العالم تجسم الحقد فيها كما تجسم على يد الحجاج ابن يوسف و بقى لها شىء من كيان؟ كيف يربو الولاء فى صدور حفده منه و عشرين الف قتيل حصدها سيف طاغيه تثبيتا لكرسى خلافه؟ و كيف لا يكون الحقد وليد الحقد، و قبور بنى اميه تنبش لتجلد فيها الرمم؟ و كيف تربط دنيا الاسلام بعضها ببعض، برباط الحب و الانفتاح- و مؤسس الدوله الانفتاحيه فى الاندلس، لا يزال يبكى اخاه مقطعا بسيف الحقد و الضغينه- و هو لا يزال هاربا من الملاحقات عبر الفيافي- كيف ينمو جنين الانسان الى وطنه، و بغداد تحمل شارات التعسف و اللم منشوره جماجم معلقه فى الهواء فوق جسور دجله و الفرات، تدليلا على عظمه البطش و هيئه السلطان ...

لعمري- ان رساله الامام على الى (الاشتر) تشهد للرجل الكبير بصدق نظرتة و حصافه رايه... تلك الدماء- ذاتها- مهوده بغير حلها- جبلت من طينها- فيما بعد- جماجم الغزاه، شان جنكيزخان و تيمورلنك. اجل، هو ذاته تيمورلنك الذى بنى فى بغداد- بجماجم

البغداديين، منه و عشرين برجا .

اجل ان الخلافه تكون مجورا عليها اذا حملت جريه عده اجيال ولكنها كانت مسووله -كخلافه لرساله سوف تتخطى المكان و الزمان- عن مد

نظرها الى مثل هذه الابعاد- و هى مسووله- على الاقل- عن تثبيت قدم العداله التى ما تزال قريبه من منابعها .
ان الخطوه الاولى قرنتها السقيفه، و كان فيها ذلك الاعوجاج و لن يقاس درب طويل بخطوه معوجه ...

و لم يكن الاعوجاج من المطلبين امجاد الحكم اكثر مما كان من الحبل الطويل المشدود على خصور القبائل- ذلك الشعب الذى كان معوجا و ما صرف الجهد النبوى الا ليقيم اعوجاجه .-

كيف تبحث قصيه الخلافه بامانه و اخلاص ان لم يتحرر الباحث من الهوى؟ ولكن الذين تراحموا على كرسى الحكم ما ساقهم اليه الا الهوى .

كان كرسى الخلافة- بين ان يثبت متينا، و بين ان ينهار- رهنا بحروف اسمه:- اما ان يكون خلافة او ان يكون حكما، و الخلافة كانت استكمال خط و استمرار نهج، و الحكم كان لونا سياسيا و صوليا .
ان الحكم فى الجزيرة- فى خطه الماضى- لم يكن درجة فى سلم حضارى.- ان الرساله الجديده هى التى نقضت هذا الحكم فى مجال تحضير ماده جديده يستقيم فيها الحكم، تلك الماده هى الوجبه الروحيه التى يكتمل بها رشد الانسان فى الجزيره حتى يتوصل الى حقيقه الحكم .
تلك الحقيقه كان يعرفها النبى و كان يعرفها اشد الناس اختلاطا بالنبى، لهذا كان النبى اكثر تشديدا على استكمال نمو رسالته بتسليمها الى الذى يدرك الكنه العميق -هنا كانت تبرز الاشاره بوضوح الى على .
كان المقصود باسناد الخلافة الى على، خلافة بالمعنى الصحيح اكثر منها حكما موقتا- خلافة لرساله تتم تحضير الوجبه الكبيره ليأكل منها كل الذين هم بحاجة الى اكتمال الرشد .
فى اى وقت يكتمل الرشد؟ ان ذلك يكون رهنا بالسلسله الطويله فى اكتمال نضجها وبث اشعاعاتها. و هذا كان- على ما يظهر- قصد الرساله .

و تر فى عمد

ان الذين كانوا اقل الناس فهما لخطاب فاطمه هم- بالذات- اولئك الذين كانوا حاضرين فى باح المسجد يصفون، لان ذلك الخطاب كان من نوع الامحال فى اقتلاع الحجاره، لا يثاثر مركز الثقل فيها الا بنسبه ما تطول سوقها .
و لم يكن الخطاب موجها الى شر ذمه من الناس، فهو ما اخذ من المسجد قاعده له الا لتكون له رنه الاذان .
لذلك كان الخطاب فى المسجد لابعد بكثير من جدران المسجد و لم يكن للمئذنه فى المسجد بل للجو الذى تتناول اليه مئذنه المسجد ...
هل كانت فاطمه تدرى بان لخطابها تلك القيمه و تلك الابعاد؟ ولكن الثوره التى كانت متولده فى نفسها كانت من وحى تلك المعانى و من مسافه تلك الابعاد،لهذا جانت كلماتها ناعمه كاللونه فيها و هادره كانها التعبير عن انفجار السدود .
و كل شى يفقد قيمته ان لم يكن تعبيرا. و ثوره فاطمه كانت ذياك التعبير عن الم فى النفس كانت تدرك هى كل اسبابه و تعانى كل اثاره لقد عاشت اباها فى كل قضيه، و لقد تزوجت عليا فى تجسيده تلك القضيه و لم يكن موت ابيها الا لبقدها نشوه تحسس القضيه و استطراد نموها .
لقد بدأت تلمس- بكل حسنها- ان الموت الذى تناول الرجل العظيم اخذ بمد يده الباردة الى النتائج العظيم الضخم من بعده... ان البادره الاولى كانت رهيبه بالنسبه اليها :-ابن اصبح كرسى الخلافة من زوجها- زوجها بالذات الذى ساهم بالنحت و التوجيه و الاخراج ماذا كان النفع من الوصيه؟ لم ينعف لا التلميح و لا التصريح .
بوحى هذا الكابوس انطلقت فاطمه تعبر عن نفسها لتعبر عن كل القضيه- اما اولئك الذين سمعوا، فانهم لم يسمعوا، الا من خلال فدك- من خلال ارث- فقط تطالب به .
انه فيما- بعد- فى كل سنه بعد سنه- فى كل جيل بعد جيل- اصبح السماع اليها من خلال القضيه .
هكذا كان يعمق- مع الوقت- سمع الخطاب، و هكذا اصبح فاطمه تسمع- من خلال صوتها الناعم- كانها النذير ...
ما تضاءلت قشبه فدك ولكن فاطمه اصيحت- من خلالها- و ترا فى عمد .

فدك

ما اضيق (فدك) ارثا لفاطمه .
لن تكون قريه فى الحجاز- مهما تطيب ارضها، او تسبق نخيلاتها او يترطب جو و احتها- حدود ارث لتلك التى وعدها ابوها بكل ميراثه .
و ميراث محمد؟ فى ايه خريطه من الخرائط تنزلت له الحدود؟ ذلك الذى ربط الجزيره بالافاق و اذاب الافاق فى الاجواء- لا اراض وسعت و لا الخيال يطال- ذلك الذى فتح الغار على الاغوار، لن تكون الارض وحدها حدود رواه، و لن يكون الفضاء ابعده من مده انه رسول الله ذلك الذى هو قبل الحدود و بعد الحدود، قبل الزمان و بعد الزمان .
ان اولئك الذين كانوا يطلبون خلافة، قد ضيعوها لما وضعوا لها حدودا، و جزاوها لما اقتطعوا منها ما سموه بفدك- و ما كانت خلافة محمد الا نظره متناولها الى ابعاد :-مع التراب و عبر التراب- مع الاثير و عبر الاثير- مع الانسان و عبر وجود الانسان. و ما كان محمد ذره من تراب الا ليكون كل الهولوى، و ما كان بوبو عين الا ليكون فضاء، و ما كان غارا الا ليكون كوى المفاتيح، و ما كان (فدكا) او واحه فى فدك الا ليكون جنه او كوثر فى الجنان .
و لقد رمز الامام موسى بن جعفر الى هذا المعنى فى الشمول، اذ حدد فدكا بهذا الرمز: الحد الاول لفدك- عدن- و الحد الثانى سمرقند و الحد الثالث افريقيا، و الحد الرابع سيف البحر مما يلى الجزر و ارمينيا .
و هذه حدود، ان تشمل، فانها لا تشمل غير حدود امبراطوريه الاسلام، انها ليست اكثر من حدود مغبره فيها ماء و فيها تراب- و حدود فدك- لعمرى- هى فدك و ما بعد فدك -و هى بعد كل غور، و بعد كل مرثى و بعد كل ملموس و محسوس، و بعد كل حاضر و بعد كل آت-، انها كل ذلك: موجودا و مضمونا، مقطوعا و موصولا، منتورا و منضودا
و لقد ذاب يهود فدك لما ذابت حدود فدك فى الهاله الكبرى- و لقد انتصرت الجزيره على فدك، فى الساعه التى انغمرت فيها بالنور- فى اللحظه التى انفتحت فيها آفاقها على الاجواء، فى اللحظه التى وجد فيها الانسان حدود الانسان .
فى تلك اللحظه فقط: تقلص اليهودى، و ذاب و هم ارض الميعاد- فى تلك اللحظه فقط، ماد جبل طور سيناء تحت خفقه و مضه الحق فى تلك اللحظه انخبطت اسباط بنى اسرائيل و فقتت عين الاسخر يوطى و تصدع حجاب الهيكل، و طغى الزيد على مرفا ايلات- فى تلك اللحظه كانت تربط الارض بالسماء، و تتوسع آفاق الارض امام الزحف المومن، لتتقوض اركان المرتع الرومانى و تهتر جذور اواولين الاكاسره- فى تلك اللحظه كانت تثبت حدود اللامحدود، و تذوب النزعات اليهوديه الحقيقه فى مصهر الحق و العداله فى تلك اللحظه كانت تنظف الارض من الادان، و يتحول السراب الى انداء و ينقلب عجين الغبار الى مزاخر ...
ثم عاد يعيش الوعل الرومانى عاد يتنفس الذئب فى اسرائيل- عادت منذ تلك اللحظه -بالذات- تفرط فيها فدك الى حدود، ينظر اليها عددا من نخيل و رطوبه فى واحه و سواد فى تراب. منذ تلك اللحظه المترديه اخذ يتقلص النور ليحصر فى زجاجه، و اخذت السحب تتجمع من مساحيها العميقه كانها معاهد الدخان فوق البراكين تتحول الى نشفه السراب ...
على هذا المفروق الجزين- و بعد موت النبى- وقفت فاطمه تشهد ارثها فلا تجد حدودا له اوسع من قريه فى الحجاز فيها واحه و فيها نخيل، و فيها عنصر من الناس ما كادوا يدورون حتى عادوا فانفجروا اسافين تقوض عز امبراطوريه كانت تفتش عن حدودها فوق الارض، و تحت الارض و فوق السماء و تحت السماء ...

ابنه النبى

لقد كانت فاطمه الهراء ابنه النبى اكثر مما كانت ابنه الامين محمد- لقد كانت ابنه الصفه فى زوجه خديجه .
و اى معنى للانسان يعيش بجسده و لا يعيش بالصفه فيه؟ ايه قيمه لحيه القمح ان لم تكن تاجا فوق ساق تمتن بقوه الخصب من قلب الحياه؟ و اى معنى لبتلات الزهره ان لم تكن فوحا بين و ريقات تخضلت بانفاس الربيع و انداء السحر؟
و فاطمه العفيفه كانت ابنه الصفه فى النبى- الصفه المخصبه بعفريه الخلق و التوليد- لقد كان جسدها النحيل و عاء لروح شفقت حتى اندغمت بالمصدر الذى برغ منه ابوها .

وهى التى احبت اباهما باكل اللقمه على المائده الكبرى و يشرب الكوب من رشح المنابع- هكذا احبت اباهما صفه فى الوجود لا طينه من تراب- احبته ذره رمل تحضن سوسنه و ليس ذره رمل تتطاير طحين غبار- احبته عماما يتكاثف ليهمى غيثا و ليس ضبابا يتناشف ليرتجف سرابا ...

تلك هى الرفاهه فى الصديقه الزهراء التى جعلتها ابنه نبى اكثر مما جعلتها ابنه عبقري، تلك هى القبيل المفتوحه على بواكير الصفا، تخص رفيقه للرجل العظيم الذى شرع حسامين دفاعا عن حق توطدت ركائزه على صلابه ساعده و متانه منكببه كما تركزت على متانه عقله و صفاوه وجدانه- و تلك هى البتول المحصنه بحب ابوها، حب ذابت فى كما تذوب الشموع على مدارج الهياكل، لتكون اطهر ام عرفتها الاجيال .

زوجه على

تبارك بيت لحراره بن النعمان- بيت موصول بيت، حدار واحد يفصل و يجمع- ذلك البيت كان البيت الجديد الذى نزلت فيه فاطمه و زوجها على، ليكون لها فى جوار البيت الكريم حدار تسند اليه راسها الناعم فتسمع من خلفه نض قلب الاب الكبير يخفق حبا و كبرا و حنانا .

من هذا الجوار كان يمتد- عبر الجدار- سلك مسيوب اخذت فاطمه تتلمسه كل صباح و كل مساء- و تنقر عليه من قلبها كل لفحات حبها و عطفها و اعزازها، و تستقبل عليه من الطرف الثانى كل اللواعج المكنونه فى قلب راي الدنيا كلها مسكوبه فى عين فلذته حلوه من فلذاته .

فى هذا البيت الذى فضلت ان تنتقل اليه مع زوجها، تيمنا بالجوار و التصاقا بالجدار- تمت حياكه عمرها . لقد تزوجت عليا، لقد عرض عليها من قبل الزواج- من ابي بكر الصديق مثلا- من عمر بن الخطاب طالب آخر- ولكن النبى الكريم ما كانت له بعد الموافقه- انه كان ينتظر -بفاطمه- القضاء ... حتى نزل القضاء .

و لقد تم الزواج ببساطه كانها لقناعه، كانها الرضى، كانها العفه، كانها الاستسلام لمشيئه منتظره، كانها السعاده المرجوه على ارتقاب .

و ارتبطت حياه فاطمه بحياه على بالرباط الذى يجب ان يتقاسم عليه كل زوجين احكام المصير: نعيما بنعيم و بوسا ببوس . و تقدمت فاطمه الى ساحه الحياه، تحمل على منكبها اعباء المشاركه، برضوح المومن فى استجابته للمشيئه الكبرى، و كانت التلبيه منها شهاده لها بالاصاله .

احبت عليا بطلا، فانذغمت به على بطوله، احبته صمصاما، و لم تقبل الا ان يكون على يده تلميح حسامه، احبته خيالا و لم تسبح الا فى فضاء خياله، احبته غيئا و لم ترض الا بان تغتسل بالمزنيه من غمامه . كل هذا كان منها على تحقيق: رضى بفقير، و صبرا على كسف، و استسلاما بايمان، و رضوخا عن اقتناع، و سكوفا فى كبر، تاديه لواجب عينته نظره واضحه المراى جليله المرمى .

لم يكن الجدار الفاصل بين بيتها و بيت ابوها غير سلك تعبر عليه تلك الاشواق المحمومه: تنهمر عطفها و ضياء من عين ابوها، تستنبر بوجهها فى تنفيل خطواتها على الطريق الشائك، و تقوم بكل مسؤولياتها تجاه فروع الحياه. كيف لا- و هى ليست الا ام ابوها- ان قلبها الصغير بمكنته ان يتسع ليس لامومه مفرده بل لامومتين. هكذا رضيت بتحمل الاعباء- مع جسمها النحيل- تحقيقا لاهداف قبلت بها نفسيتها الجباره .

و لن تخيب اشواق ابوها. ان خصرها النحيل سيقبل خلجه الحياه الشريفه، و ستتوسع ضلوعها مع الجنين الاول لتضع فى حضن الحياه اقدس ما تتمكن به من مشاركته الحياه فى الخلق والابداع- و سيأخذ النبى اول نتاج لفاطمه، و سيرفعه بين يديه الكريمتين، سيفتح فى وجهه نسمة الحب و الرضى، و سيطرح عليه البركه التى سترافقه مع الاجيال .

هنيئا للام النحليه باكوره اعراقها و الامها و دموع ماقبها تنطفى كلها مع ووعه طفلها الاول مرتسمه على محياه الندى احلالما عذابا تبلسم بها عين ام انجبت لابوها عماد الملكوت .

ثم انجبت الام فلذتها الثانيه- من عصاره نحولها- ليكون للنبي بالحسن و الحسن جناحين فى امتداد المجال . و بقيت الام تنجب- من جسمها النحيل- لقد نزلت فى البيت الفقير اختان اخذا اسمى خاليتهم زينب و ام كلثوم، و بقيت الام تشارك بالجهود، تاره تسقط تحت العب فيمد الزوج الامين يد المساعدة و طورا تنهض لمتابعه الجهاد بطوله ما كانت تجد فى الجسم الهزيل تلبيه لها .

و ما ونت- ستتحمل موت ابوها، و لقد تحملت من قبل اعماضه عين امها- و ستشارك زوجها فى بطولات الدفاع . ان باحه المسجد ستنظرها و هى ماشيه اليه- و لن تنهار قبل ان تفى البطولات حقها، و قبل ان تسجل- مع العبير- اسمها الجميل .

ام الحسن و الحسين

و هذه رحم ما كانت بطانتها من لحم و دم- لقد شقت من قبل رحم مثلها عن ولاده جاءت رحما لسمو الانسان، تلك مريم واضعه فى حضنها ذلك الذى احتضن الارض و السماء، و هذه فاطمه الزهراء تفتق خاضرتها عن سلالة هى ديمومه النبوه فى خطها الصاعد مع الاجيال -هى ارث الانسان فى احتكاكه بالجواهر الاسمى فيه، هى ذلك التحضير النفسى لتحسس الانسان بقيمته المربوطه بالمصدر الاعلى، هى تكثيف ذلك الادراك الانسانى عن طريق التحسس الضمنى بان الله سمو، و اكثر ما يتحسس به هم الاولياء المرهفون .

و ما كان الحسن و الحسين الا بدايه السلسله المومته ان الرحم التى انشقت عنهما ما طالبت الا فى انها كانت مستقرا لذريه تحدرت من قطب الوعى العقلى و التفتح النفسى، تحدرت من مشنيه ذلك الذى استوحى المشيئات .

«هذان ولدائى امامان قاما ام قعدا .»

«النجوم امام لاهل السماء و اهل بيتى امان لاهل الارض .»

«يا على، اساس الاسلام حى وحب اهل بيتى .»

«اثبتكم على الصراط اكثركم حبا لاهل بيتى .»

انها مشينه فى تعيين الارث و ضبط المخططات، ان الجزيره المفككه بحاجه الى هذا الانضباط، ان انسان الجزيره المشتت بحاجه الى جامع- الى ضابط والى وازع-انها باشد الحاجه الى القيادة .

وارث محمد ما وسع الضيق و ما انفرج ليقبض، و لقد اصبح ارث الرسول اشمل من ان يحد بتخوم و ابعاد من ان يحصر بمجال- و لم يكن اعتماد النبى فى التحصين و التكميل الا على رجل واحد شاركه بالتنوير و الاضاءه، و لم يهب حبه الكامل الا لامراه واحده انشطرت من قبله و انتزعت من روحه، و لم يعقد له امل الا على اهل هذا البيت الذى اخذت بدرج فيه عمادا الاتى .

لهذا جمع اهل البيت تحت كسانته :

«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا .»

«الصلاه اهل البيت- الصلاه .»

هكذا تم التحضير، فالرسول انما هو فوق الارض لتسرى عليه نواميس الارض- لن يكون بعيدا يوم يترك فيه حبله التراب، و لن يترك صفحه الارض قبل ان يترك لها خريطه الغد، ان الشريعه قد نزلت فى قرآن، و سيعين عليا اول قيم على هذه الشريعه، من هنا تكون بدايه الخط من جيل الى جيل .

و لم تكن- اذا- فاطمه الا لتتسع و هى تسمع اباهما يمهد لها و لاهل بيتها بالارث و بالوصايه .

فى مبداء البعته قال النبى فى على: «هذا اخى و وصيتى و خليفتى فيكم .»

فى غروه الخندق قال: و قد برز على الى عمرو بن ود: «برز الايمان كله الى الشرك كله .»
و قبل الهجره قال: «انت منى بمنزله هارون من موسى، غير انه لا نبى من بعدى .»
و لقد روى ابن عباس: ان النبى قال: «انه لا ينبى ان اذهب الا و انت خليفتى» -«لا يحبك الا مومن و لا يبغضك الا منافق .»
و لقد قال الرسول: «انا مدينة العلم و على بابها .»
«اقصاكم على »

على مع الحق و الحق مع على لن يفترقا حتى يردا «على الحوض »
«لكل نبى وصى و وارث و ان وصى و وارثى على »
«يوم الغدير قال: «اللهم وال من والاه و عاد من عاداه »
«من كنت مولاه فعلى مولاه »

بهذا التحضير الكامل هيا النبى عده المستقبل، موجها اهل الجزيره لاعتماد الخطه الجامعه التى تاخذ على عاتقها السير بالامه
على منهج موحد، ليعبد عنها الضلال، و ليقبها شر الفرقه .
ان ام الحسن و الحسين كانت اشد الناس استيعابا لقيمه التحضير .

الامامه

و ما كان التحضير الا ليحصر القيادة فى نطاق عصمتها، فالخلافه الاولى هى لزوم جمع الصفات الكبيره، فيها، فهى امامه، من
حقها ان تكون راسا كبيرا و عينا وسيعه و قلبا رحيمًا، من حقها ان يكون لها ثقل السداد و بعد النظر و قسط العداله و روح السماح،
من حقها ان تكون هذا الراى و هذا العطف و هذا التفانى، من حقها ان تكون هذا الكل و هذا التوجيه و هذه الرفعه، من حقها ان
تكون ترجيح عصمه .

فى اللحظة التى تامنت فيها للجزيره هذه العصمه المتكامله تضافت مجادله نحو تحقيق، ما شهد التاريخ له مثيلا .
لم يكن النبى العظيم ليغفل عن سر نجاح دعوته الكبيره، فاحب ان يترك للجزيره من بعده من يتمكن من متابعه جدك الجبال- لن
يكون ذلك عن طريق الاختيار، فقبائل الجزيره لم تبلغ بعد الرسد حتى تتسلم بنفسها زمام نفسها، ان تربيه المجتمعات الانسانيه
تلازمها الاجيال الطوال حتى تصبح الثقافه فيها اصيله المعدن، و معها تعمق تلك الثقافه فى المجتمعات، فان الافراد فيها تتفاوت
مفاهيمهم و لا يجمعهم كلهم صواب الادراك، ليبقى هناك واحد تتفرد فيه صفات القيادة .
و لقد احب النبى ان يعين القيادة من بعد تحضير طويل، و لقد وجد فى على كل انصبا صفات الموهله، و لقد جليت هذه الصفات
و برزت جلوتها، و لا شك فى ان جلوتها كانت نتيجته هذا الاحتكاك المتين .
من هنا يبدأ الخط فى توارث الصفات و نقلها فى جو من الاحتكاك الدائم يكون فيه التمرس الطويل طريق للاقتباس و للابداع .
هكذا حصر الامامه فى على لتكون من بعده وحى ولاء عن ولاء و فهم عن فهم و مراسم عن مراسم و توليد عن توليد و كفاءه عن
كفاءه. بهذا الخط التابت تتوصل

الجزيره الى حقيقه ديمومتها فى الخط البناء المتصاعد، موفره عن نفسها التمرغ فى حزبياتها و الوان سياسياتها مبعده عن نفسها
اخطار الاختيار فى الرجوع الى قبلياتها المتناحره على كرسى السبادات .

بهذا الاستقرار تتوصل الى نحت نفسها فى تعميق ثقافاتنا و تمويه معاولها و تمين ركانها، و بهذا الاستقرار تتوصل الى تنقيه
اجواتها من زحم الغبار، و الى تجنب و اجاتها من رجفان السراب .

تلك كانت نظره اصيله الى مجتمع كمجتمع الجزيره، مر حقا طويلا بمحاولات قاسيه ما كان يحنى منها غير التفكك المخزى: فلقد
عاش مشتتا فوق رقعته ملتبهه، الاستنباط، و تهرب منها روابط المجتمعات المتحضره من اقتصاد نام و ثقافه مولده .
و لم تشعر يوما بقيمه وحدتها حتى جاء النبى بلملم خيوطها و يجمع شتيتها- و لقد سلمها للتاريخ عبره من اذكى العبر: فى كيف
ان المجتمعات المترديه يفعل فيها التوجيه الموحد ما لا تفعله ايه قوه اخرى و فى اى مجتمع لا يعتمد فكره التوحيد .
تلك كانت يقظه الجزيره فى تحريك القوه الشعبيه فيها نحو اهداف و مثل هى وحدها تلك الاهداف و تلك المثل تعين المنهج و تلون
الخط و تعصر المجهود من كل طاقه بشرية حتى تعمل ايجابا .

ان تسليم الجزيره لامامه مصقوله- خصوصا فى ذلك الوقت من تاريخها، و فى تلك الحال من اوضاعها، كان فيه كل الصواب و كل
الرشد .

و ما كانت فاطمه الزهراء الا لتشعر بهذا الثقل يبرز على بيتها الكبير، فهى ام هذه الامامه و بدايه هذا التاريخ .

الارث

كل الذين يرثون يتعين ميراثهم الا فاطمه الزهراء، فان ارثها لم يكن ليتعين، فهو- فى الوقت الذى كان يشار اليه فى فدك- كانت
حقيقته تمتد من مكه الى المدينه الى خيبر الى هوازن ثم الى الشام و الكوفه، ثم اخذ يمتد الى فارس و الهند و الى مصر و
افريقيا .

لقد كان ميراثها فى فدك من لون التراب، و اصبح- فيما بعد- من نوع الاثير... لقد كان يتقيم- مع كر الايام- كانه من لوع امتداد
الاطلال للاحاسام، تقصير فى قرب هذه من مصدر النور و تستطيل مع بعدها عنه .

و كان ارثها مع ابها نبوه، و اصبح فى زواجها من على، امام ثم ارتباطا بطولات، و تطور فى فدك الى صنوج تستثير الى جهاد، و
انقلب مع الحسن و الحسين الى امتداد القضيه ثم الى الستشهاد .

ثم تطاول الظل فاصبح الارث و لاء تعشقه الاجيال عفه مسلك و طيب تذكر و حباب مسابح ووجه قدوات، و حقا مشروعا يطلب و
ذكرا لا تطاله النسوه .

البقيع

ان البيت الذى بنى فى البقيع من جريد النخل، هو الملجا الذى كانت تاتى اليه فاطمه تنفس فيه عن آلامها و احزانها، لو ان وصيه
ابها احترمت لكان لها كل الناسى -لكانت لها اليوم جهود تصرف للعمل الايجابى، ولكن الموت الذى اسكت قلب ابها مهد السبيل
لرجعه جاهليه حالت دون وصول زوجها الى تسلم المقود .

ذلك كان الفشل الذريع. لقد هبطت- من اعلى ذروتها- باسم الامال، لقد ذبلت- من ابهج يوانعها- معاهد الاحلام .

كل ذلك جاء الما على الم- يزحم بعضه البعض، و جاء مع الكفر بالنعم، جاء مع الجحود ميئا على الكره و البغض و التحدى، جاء
انتهازا لفرصه و صربه عذر: فكان اختلاسا و تحقيرا و امتهان كرامات و اخلالا بمواعيد و نقضا لمواثيق .

و جاء تهديدا لوحده جماعيه عصر مجهود عمر فى خلقها و تمينته و تعهدا. جاء تهديدا بهدر اعجاب كلفت كثيرا من التضحيات و نرف
الدم فى مجال تحقيقها و تثبيتها و تسييرها فى وجهاتها الصاعده المتالفه، جاء خطرا على الغد الذى ينتظر اكمال الصرح التابت
بعزيمة الابطال العباقره، جاء محدودا بنزعه، مصوبغا بميل، مبتورا بنيه، مجروحا بغايه، مذلولوا بقصد، مجنوحا بقصر نظر. جاء يقسم
الخط الموحد الى خطين، ثم كل خط منهما الى ما لا يعلم الا الله قيمه كسوره .

تلك هى جسامه الالام التى كانت تعانيتها فاطمه- فى البقيع- دموعا على ابها الراحل، و نفتات من صدرها كانها الهلع على
المصير .

بسمتان

و لارض- ما استحقت من فاطمه غير بسمتين طاقتا على ثغرها كما تطوف السخرية على فم حكيم امام كومه من الجهله او شر ذمه من الافاكين، و البسمه الاولى تذوقها ثغر فاطمه و الالم يعصر قلبها حول فراش ابوها يطوف حوله شبح الموت، و كانت بسمه فيها كل الغيطة و كل الرضى، لقد شهدت لها بهذه البسمه عائشه ام المومنين، لقد تعجبت عائشه من بسمه تسرح على محيا فاطمه الحزينه قبالة جسد ابوها تتجاذب اوصاله الحشرجه- و لقد اتهمتها بما يشبه الخبل- فالموت الذى يخيم بجناحيه فى القاعه الواجمه ليس بمقدوره ان يستل غير الدموع و لولوله، و ما يخيم بجناحيه فى القاعه الواجمه ليس بمقدوره ان يستل غير الدموع و لولوله، و ما درت- الا بعد حين- ان بسمه فاطمه كانت جوابا على وعد اسره الاب فى اذن ابنته بانها ستكون اول الاحقين به . تلك هى البسمه الاولى طرحتها فاطمه على وجهها ازارا توارت خلفه بحور من المعانى :بحر من الادراك، بحر من الحب، بحر من التفانى، بحر من الزهد، بحر من الهزه بالارض و تراب الارض، بحر من التقلت، بحر من التوق الى التملص و الاعتناق، بحر من الايمان بابيها، بحر من العنقوان، بحر من البطولات- و بحر من التراث المجيد . و كرت بعد هذه البسمه دموع فتحت فوق خديها المجارى هى دموع الحنين الى تحقيق ما وعدت من قرب اللقاء، هى دموع التراب يغتسل بتكسير الموج على الشواطى، هى دموع الابطال يرسفون فى قيود الاسر، هى دموع الماسى تتجسم فوق خشبات المسارح . و جاء دور ختام الماساه، تلك كانت بسمتها الثانيه، بسمتها الاخيريه، لقد جادت بها و هى تسجى نفسها فوق نعش تمكنت هى من الصعود اليه، لقد كان قبولها بالموت كقبول عروس بجلوتها يوم الزفاف، لقد اغتسلت- ثم طلبت ان تلبس ثوبها الجديد، و القت على جسدها بساط الكفن. لقد تمت الجلوه الباهره . كل شى قد تم. ان الكلمه الاخيريه جاءت التماسا بان لا يكشف جسدها بعد موتها، لقد انجزت هى بنفسها كل الواجبات، و اغمضت عينيها، و على ثغرها تطفو ابتسامه الرضى : لقد اصيحت فى حضرة ابوها ...

اسماء بنت عميس

تباركت انامل «اسماء بنت عميس» تباركت كف لممت الفراش، و حامت حوله كما تجوم الفراشه المزهرا، تباركت باع اسنندت الراس المنحنى على فراش الموت، تباركت قدمان طاقتان فى البيت كما يطوف الطهر فى عب الزنايق، تباركت اذن نزلت فيها آخر دعوه من دعوات فاطمه : «سترتمونى- ستركم الله .»

لملمه الخيوط

عناصر البحث :

دواف

منطلقات

شده الاوتار

حبل الحزام

المردن

دوافع

اذ ينتهى هذا العرض، بهذا التصوير التلميحي الموجز، يكون قد برز الاطار الذى تنتزل فيه شخصيه فاطمه الزهراء . كان فى موت النبى بروز هذه الشخصيه التاريخيه- و كان التصرف بالخلافه على النحو الذى انتقلت فيه الى يد ابى بكر الصديق ما عين بروز فاطمه الى الساحه المكشوفه بروزا اضفى عليها هاله كبيره من البطولات، و كانت «فدك» مفتاحا للبوابه التى اطلت منها على رحابه التاريخ . و الحق يقال: ان كل القضايا التى لا يولج اليها من مداخلها تتعقد فى وجه الوالجين، و ليست كل قضيه الا لتكون مستنده على نظره فلسفيه تبرر وجودها كقضيه، ان الفلسفه الحقيقيه هى التى تكمن وراء القضايا، تتثبت هذه الاخيريه عليها من عمق الواقع و من عمق الضروره .

و قضيه الخلافه بعد النبى كانت من تلك القضايا المصيريه الكبيره و كانت على مستوى القائد الاكبر، عالجاها بحرص و رويه، و لقد راي انه من الخطر البالغ افلات الزمام فيها فى معرض طرحها على الراى العام ليقرر الراى العام وجهتها و كيفيه مصيرها، لقد كانت الشورى لديه شبه مفقوده، فهو لم يكن يامن للشورى، لقد كان له الراى المنفرد بالعمل، يقينا منه بعدم وجود الاكفاء فى معاجله قضيه فتيه وضع هو بنفسه لها كل البنود .

ذلك كان واقع الجزيره، فى ضعفها كمجتمع، و فى ضعف هذا المجتمع كثافه و توجيه. ان الراى العام فيها كان نهيا لنزعات قبليه مشروره دون روابط- دون تحسس بمسؤوليات تتحملها همه الواعين المخلصين- ان قيمه المجتمع لم تكن من بين الفضائل التى يتسابق الى حرزها الواعون المدركون، ان هذا الحس كان ضعيفا جدا- فى الجزيره- بمعناه المجتمعى . ذلك كان ضعف الجزيره تفقد به كل الروابط التى تجعل منها مجتمعا متينا، عكس ما كان ينشأ من حوالياها من مجتمعات واعيه سبقتها الى نبذ قسم من خلافاتها، فسبقتها بكثير الى التحقيق . و ما كانت الرساله الجديده غير معالجه جذريه، انوجدت بها للجزيره قضيه نجحت فى التحقيق، و هى لا تزال تنتظر- فى تتيبتها- مرور الزمن حتى تصبح ثقافه راسخه مع طول الممران .

لقد اصيحت قضيه كبيره، عينتها فلسفه عميقه نبتت من واقع صريح، و لا يجب ان تكون الخطوه الاولى الا فى كل حذر، فالمجتمع ضعيف التمرس و خفيف الممران، و تلك قضيه اخرى يلزم ان تسند القضيه الكبرى- انها قضيه الخلافه .

و لم تكن النظرة للخلافه الاولى الا من معدن المخلوف، فالضروره- ايضا- تقضى بان تاتى طبق الاصل، دون احداث ايه رجه فى البناء الذى لم تنشف بعد طينه بنيانه، ان نظره النبى الى قضيه الخلافه عينها- هو- قبل ان يرحل، فكل المصادر تشير الى كونه قد عينها من وحى هذا الحرص و هذا الواقع- ان الذى كان بمكنته ان يسن شرعا و دستورا للناس و لا جياك الناس- لم تقته هذه الحواشى ان واقع الجزيره يقضى بافشاء الحكم فيها الى سلسله منخوبه تامينا للخط المرسوم .

ان التاريخ يتق بنفسه، فلقد دل الى على بن ابى طالب بكل وضوح، بانه هو الموصى به للخلافه، ان هذا الرجل العظيم هو الذى نحتت النبى الكريم ليكون على الخط الطويل، ولكانت انتهت ازمه الخلافه لو ان الامور اخذت مجراها المنجوت .

كان اللولج الى قضيه الخلافه- بعد موت النبى- من جانب غير الجانب الذى عين الدخول منه، لهذا كانت الرجه عنيفه بالنسبه الى البناءه الناشئه، لقد اهتز المجتمع من الرجه المحدثه، هكذا عاد يستيقظ الراى العام ليتسلم هو بنفسه زماما لم يكن ليعرف كيف يوجه له المسير، لقد عادت القبليه عينها تخط فى الجزيره، مثيره حولها الغبار، لقد عاد الزعماء الى التمسك باعتنهم ليلهنوا على طول طريق عقد فوقه غبار و عقد فوقه سراب ...

و القضيه التى اثيرت- بنسبه ما حادث عن مستواها الاصيل- وجدت

امامها العراقيين. فبيما يختص بخلافه الصديق، كان عليها ان تعتمد الى كل ما يعزز لها الدفاع- ان ذلك من اهم ملتزماتنا. و كانت «فدك»- بقطعها عن اصحابها- من اهم الضلوع الدفاعيه، اذ ليس من الجائز ان يسلم الخصم اى سلاح. و فدك كانت مصدرا للخصم و موردا سيصرفه على تقويه نفسه: اكان مباشره ام مداوره فى تعزيز الانصار .
ولكن التعدى على الحق المشروع من شأنه ان تكون له رده فعل تضع قيمه القصد من المحاوله، و قد ظن بان قطع «فدك» يقطع المدد عن فاطمه، و ناه الذين ظنوا بان ليس هكذا يقطع الوريد ..
ان «فدكا» كانت بخدمه القضيه الكبرى، و قطعها لا يعتبر الا بمثابة انتهاك تلك القضيه بالذات- لذلك كانت المطالبه بفدك مفتاحا للوصول الى صلب الموضوع. و لو لم تكن «فدك» موجوده لكان التفتيش عن مفتاح آخر له نفس السرعه و نفس الغايه، مع العلم بان «فدكا» لم تؤثر لا بقليل و لا بكثير على سير القضيه التى نشأت لتنفجر ازمتها رويدا رويدا مع السنين و مع كل فرصه سانحه ان اليوم الحاضر لا يزال يلاحق القضيه من خلال اسم «فدك» و ليس من تحت فى نخله فى قريه فى الحجاز تسمى «بفدك» .
هكذا ظن الذين قطعوا «فدكا» عن بيت فاطمه- فى خدمه لون سياسى ضل عن قاعده مخطوطه بناء على هندسه صممها واضع الخريطه نفسه- ولكن التغيير فى الخريطه من شأنه ان يودى الى خلل عام فى خطوط الهندسه، ولن يكون اصلاح هذا الخلل منوطا بغير المخطط نفسه- و ها هو الاصيل غاب، و ها هو الوكيل تفرض عليه القيود .
كل شىء- بعد موت النبى- مسه بالخلل، مسه بالتبديل و التحوير لقد ظهر الاحتجاج -اول ما ظهر- فى باحه المسجد، لقد نجح المخطط، ولكن النجاح كان أنيا، سوف تظهر السحب فى الافق ان لم يكن الليله ففى غد، ان العاصفه بدأت تنشر امامها سحب الغبار ...